مجلات أميركية
JOURNALUSA

المجلة الإلكترونية - يو اس أيه

قضايا عالمية

تحديات العولمة

شباط / فبراير، 2006

وزارة الخارجية الأميركية - مكتب برامج الإعلام الخارجي

يوفر مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية منتجات وخدمات تشرح سياسات الولايات المتحدة والمجتمع الأميركي والقيم الاميركية إلى القراء الأجانب. ينشر المكتب خمس مجلات إلكترونية تبحث في المسائل الرئيسية التي تواجه الولايات المتحدة والمجتمع الدولي. وتنشر هذه المجلات بيانات السياسة الاميركية مع التحليلات والتعليقات والمعلومات الخلفية في مجالات مواضيعها وهي: مواقف إقتصادية، وقضايا عالمية، وقضايا الديمقراطية، وأجندة السياسة الخارجية الأميركية، والمجتمع الأميركي وقيمه.

تنشر جميع الإصدارات باللغات الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية والإسبانية، وتنشر مواضيع مختارة منها باللغتين العربية والروسية. تُنشر الإصدارات باللغة الإنكليزية كل شهر تقريباً، وعادةً يتبعها نشر النصوص المترجمة بعد مدة تتراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع.

إن الآراء الواردة في المجلات لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات حكومة الولايات المتحدة ولا تتحمل وزارة الخارجية الأميركية أية مسؤولية تجاه محتوى المجلات أو فيما يخص الوصول المستمر إلى مواقع الانترنت الموصولة بهذه المجلات. تقع هذه المسؤولية بصورة حصرية على الناشرين في هذه المواقع. يمكن استنساخ وترجمة المواد الواردة في هذه المجلات في خارج الولايات المتحدة الأميركية ما لم تكن المواد تحمل قيوداً صريحة على مثل هذا الاستعمال حماية لحقوق المؤلف. يجب على المستعملين المحتملين للصور الفوتوغرافية المنسوبة إلى مصورين محددين الحصول على إذن باستعمالها من أصحاب الصور.

توجد الإصدارات الجارية والسابقة لهذه المجلات وجداول بالتواريخ اللاحقة لصدورها على الصفحة الدولية الخاصة بمكتب برامج الإعلام الخارجي على شبكة الانترنت في الموقع:
http://usinfo.state.gov/journals/journalsarab.htm
وتتوفر هذه المعلومات وفق برامج كمبيوتر متعددة لتسهيل تصفحها مباشرة أو نقل محتوياتها أو استنساخها أو طباعتها.

Editor, eJournal USA
IIP/T
U.S. Department of State
301 4th Street SW
Washington, DC 20547
United States of America
E-mail: iiptcp@state.gov

المجلة الإلكترونية - يو اس أيه

كبير المحررين: جورج كلاك
المحررون المساهمون: ألكزاندرا عبود
ديفيد ديني
ربيكا فورد-ميتشل
تشارلز بورتر
جوناثان شيفر
روبن ييغر

المحررون المشاركون: مارك بتكا
بول مالامود
شيريل بيليرين
كاثلين هاغ
المحررون: تشاندلي مكدونالد
مدير تحرير الطبعة العربية: مفيد الديك
أخصائيو المراجع: ماري آن غامبل
أنيتا غرين
مارتن ماننغ
كاثي سبيغل
فيفيان ستول
تصميم: تيم براون
كلوي إليس
كريستيان لارسن
باحثة الصور: آن مونرو جيكوبس

الناشر: جوديث سيغل
المحرر التنفيذي: ريتشارد هاكابي
مدير الإنتاج: كريستيان لارسن
مساعدة مدير الإنتاج: كلوي إليس

مجلس التحرير: ألكزاندر فيلدمان
جيريمي كيرتن
كاثلين ديفيس
كارا غاليس

COVER PHOTOS: © PETER BECK/CORBIS; AP/WWP

حول هذا العدد

يعرّف البنك الدولي العولمة على أنها «التكامل المتنامي للاقتصادات والمجتمعات حول العالم.» تصف موسوعة الإنترنت «ويكيبيديا» (Wikipedia) العولمة على أنها «التغييرات في المجتمعات والاقتصاد العالمي الناتجة عن الزيادة الهائلة في التجارة الدولية والتبادل الثقافي.» وشبهت مؤخراً المجلة البريطانية «الإكونوميست» (The Economist) العولمة بسطر ورد في أغنية لجون لينون يقول فيه، «تصور غياب الدول. فهو ليس بالأمر الصعب.» فالواضح أن العولمة تعني أشياء مختلفة لناس مختلفين.

سوف نبحث في هذا العدد هذه الآراء كما الجوانب الأخرى من العولمة. يتفحص الخبراء الذين اخترناهم لدرس الموضوع من زوايا متعددة، لكننا لا نقدم أية وصفات، ولا أجوبة حاسمة: فهدفنا يكمن في تقديم تفهم أفضل لقرائنا حول ظاهرة عميقة الجذور، ومعقدة تؤثر علينا جميعاً.

نبدأ بتبادل الأفكار حول إلى أين تتجه العولمة. أدار الصحفي جيمس غلاسمان مقابلة أجريت بين الاقتصادي الفنزويلي موسى نعيم والخبير التجاري الأميركي كلود بارفيلد. يغوص هذان المراقبان المطلعان في بحث كل شيء، بدءاً من ما إذا كانت العولمة تساعد الناس أكثر مما تضرهم، ووصولاً إلى مدى تأثير العولمة على التوجهات الدينية. تشرح لاحقاً جوزيت شاينر، وكيلة وزارة الخارجية للشؤون الاقتصادية، والتجارية، والزراعية، العلاقة بين سياسات التجارة المتحررة ومعدل النمو الاقتصادي للدول. يُختتم هذا القسم بمقابلة مع دانيال بينك، مؤلف كتابين نشرا مؤخراً وتركا أثراً كبيراً، هما: «عقلية جديدة بالكامل» (A Whole New Mind) و «دولة الوكيل الحرّ» (Free Agent Nation). يقدّم بينك نظريته حول العولمة القائلة إنها تُغيّر طريقة عملنا، وحتى طريقة تفكيرنا.

يبحث القسم اللاحق مسألة جرت حولها نقاشات حامية، أي تأثير الثقافة الشعبية الأميركية على الثقافات المحلية للبلدان حول العالم. يورد البروفسور ريتشارد بيلز، من جامعة تكساس، حججه القائلة بأن الثقافة الأميركية بذاتها هي خليط من المآكل يشمل التأثيرات الأجنبية، وبأنها، بمعنى مُعيّن، تمثل ثقافة عالمية بالفعل. تستجيب البروفسورة الألمانية جيسيكا غينو-هيكت لهذا الأمر بتوفير تحليل حول كيف كان ينظر مختلف المفكرين والمسؤولين الأجانب إلى الثقافة الأميركية على مر السنين. ويلقي معرض من الصور الفوتوغرافية الضوء على نجوم موسيقى «البوب» الشعبية، ونجوم السينما، وأبطال رياضيين من حول العالم.

يبحث القسم الأخير من المجلة في التهديدات كما الفرص الجديدة التي تثيرها العولمة. يجد دانيال غريسوولد، من معهد كاتو، صلة بين التقدم الاقتصادي ونمو الحرية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية في أكثر الدول تأثراً بالعولمة.

EUGENE HOSHIKO ©AP, WWP

تفحص لويز شيلي، أستاذة في العلاقات الدولية في الجامعة الأميركية، جانباً سلبياً من العولمة، أي كيف يمكن أن تؤدي الحدود الأكثر انفتاحاً والتكنولوجيا العالية، إلى تسهيل نشاطات الشبكات الإجرامية والإرهابية، أكثر من أي وقت مضى. يتأمل خبير الصحة العامة الدكتور دونالد هندرسون بالتهديد التي تطرحه الأوبئة العالمية في عصر يستطيع فيه الناس، كما الفيروسات، الانتقال بسرعة هائلة حول العالم خلال ساعات. يُشير تعليق جانبي إلى الجانب الإيجابي لتأثير «القرية العالمية»، أي كيف أنها تُحسن وسائل الاتصالات ويزيد التعاون بين البلدان عند حصول أي كارثة طبيعية، كإعصار تسونامي الذي ضرب المحيط الهندي عام 2004. يبحث البروفسور ستيفن بي هاينمان، من جامعة فاندربيلت، في الطموحات المشتركة لدى الكليات والجامعات في بلدان عديدة.

ويتم الالتقاء على نقطة لا جدال حولها عبر كل المناقشات، ألا وهي أن العولمة وجدت لتبقى. يقول موسى نعيم حول الإنترنت، «هناك جميع أنواع المجموعات التي تملك ذهنية متماثلة، ومجموعات أصحاب المصلحة، والناس الذين يتشاطرون نفس الاهتمامات والشغف والتكنولوجيات والهوايات، والذين يتواصلون عبر الحدود وينشئون مجتمعات فعلية تقوم بكافة أنواع النشاطات والقدرات، ويطورون كافة أنواع الديناميات السياسية الجديدة.» ويضيف: «أنه أمر لا يُمكن عكسه، فقد كانت الموجات السابقة من العولمة مؤسساتية، وكانت تجارية حيث كانت الشركات التجارية تمثل اللاعبين الرئيسيين فيها. أما اليوم فهناك عولمة للأفراد، وهذا ما يمثل اختلافاً مهماً جداً.»

المجلة الإلكترونية - يو اس أيه

تحديات العولمة

وزارة الخارجية الأميركية مكتب برامج الإعلام الخارجي
http://usinfo.state.gov/pub/ejournalusa.html

مستقبل العولمة

6 محادثة حول العولمة
جيمس غلاسمان، زميل مقيم في معهد أميركان إنتربرايز؛ موسى نعيم، رئيس تحرير مجلة «السياسة الخارجية» (فورين بوليسي)، وكلود بارفيلد، الباحث المقيم في معهد أميركان إنتربرايز.
يقوم جميس غلاسمان بإدارة جلسة نقاش حول العولمة.

14 موضوع جانبي:
السعادين القطبية: أول مشاهير النجوم في بريطانيا في عصر جهاز الآيبود.

15 موضوع جانبي: رحلات قميص «تي شيرت»
بترا ريفولي، أستاذة مشاركة في قسم العلوم المالية في جامعة جورجتاون.

17 السياسة الاقتصادية التحويلية الأميركية: الربط بين التجارة، والنمو، والتنمية الاقتصادية
جوزيت شيران شاينر، وكيلة وزارة الخارجية للشؤون الاقتصادية والتجارية والزراعية.
تبحث مسؤولة رفيعة المرتبة في وزارة الخارجية الأميركية في العلاقة المتبادلة بين التجارة والنمو الاقتصادي.

20 مكان العمل المتغير: مقابلة مع دانيال بينك
يقدم دانيال بينك، المستشار التجاري، والمحاضر، والمؤلف، تبصراته حول مظاهر عديدة من مظاهر للعولمة.

ثقافة من؟ حوار

25 هل الثقافة الأميركية «أميركية» بالفعل؟
ريتشارد بيلز، أستاذ التاريخ في جامعة تكساس في أوستن.
خبير في الثقافة الأميركية يبحث طبيعة الثقافة «الأميركية» وشعبيتها حول العالم.

30 سيدة أوروبية تبحث في تأثير الثقافة الأميركية
جيسيكا سي أي جينو-هيكت، أستاذة مادة التاريخ في جامعة يوهان ولفغانغ غوتيه، في فرانكفورت أم ماين.
خبيرة ألمانية في العلاقات الألمانية-الأميركية تُقدّم وجهة نظرها حول الثقافة الأميركية من الجانب الآخر للمحيط الأطلسي.

33 شهرة حول العالم
قصة مصورة حول الشهرة في عالم معولم

تهديدات جديدة وفرص جديدة

39 العولمة، وحقوق الإنسان، والديمقراطية
دانيال غريزوولد، مدير مركز دراسات السياسة التجارية في معهد كاتو في واشنطن العاصمة.
يناقش خبير في التجارة، والهجرة، والعولمة، الصلة ما بين التجارة، والتنمية، والإصلاح السياسي.

42 عولمة الجريمة والإرهاب
لويز شيلي، أستاذة في كلية الخدمات الدولية في الجامعة الأميركية.
باحثة معروفة ومؤلفة تصف تأثير العولمة على «الثالوث غير المقدس» المكوّن من الجريمة، والإرهاب، والفساد.

46 رابط الصحة العالمي
دي آي هندرسون، أستاذ الطب والصحة العامة في جامعة بيتسبرغ.
وسابقاً المسؤول الطبي الرئيسي عن القضاء على داء الجدري في منظمة الصحة العالمية كيف أمست صحة الناس مترابطة ببعضها البعض في عصر العولمة.

49 موضوع جانبي: تكييف أنظمة الصحة الدولية لتُناسب عالماً أصغر.

50 موضوع جانبي: التعاون في مجال أنظمة الإنذار بالأعاصير مثل التسونامي.

52 قضايا عالمية في حقل التعليم العالي
ستيفن بي هاينمان، أستاذ في سياسة التعليم الدولي في جامعة فاندربيلت في ناشفيل، بولاية تنيسي
يبحث أستاذ أميركي مسألة التعليم العالي في عالم معولم.

56 المراجع

59 مصادر الإنترنت

فيديو على الإنترنت،
محادثة حول العولمة
(الصفحة 6 من النص المطبوع)

- ما هي العولمة؟
- الجانب السيئ للعولمة
- إلى أين تتجه العولمة؟

تتوفر أيضاً المناقشة الكاملة على شبكة الإنترنت ويمكن تنزيلها بطريقة MP3.

HYPERLINK:
http://www.usinfo.state.gov/journals/itgic/0206/ijge0206.htm

المقدمة

«اسمع، ليس لدي أي شيء ضد العولمة طالما لم تأت إلى فناء منزلي»

©THE NEW YORKER COLLECTION 2001 ROBERT MANKOFF FROM CARTOONBANK.COM. ALL RIGHTS RESERVED.

في العام 2000 أصدر صندوق النقد الدولي موجز قضايا حمل العنوان المثير للتأمل: «العولمة: تهديد أم فرصة؟» وصف موظفو صندوق النقد الدولي العولمة على أنها «عملية تاريخية، ناتجة عن الابتكارات الإنسانية والتقدّم التكنولوجي. وتشير إلى التكامل المتزايد بين الاقتصادات العالمية، وبالأخص من خلال التجارة والتدفقات المالية.»

صحيح أن عدداً كبيراً من الناس يفكرون بمقاربة التجارة المتحررة عندما يفكرون في العولمة، وصحيح أنه خلال السنوات الأخيرة سيطرت الآثار الاقتصادية للعولمة على النقاش حول هذه الظاهرة. لكن هناك للعولمة بُعداً نفسياً قوياً أيضاً.

ابتكر محلل وسائل الإعلام، مارشال ماكلوهان، المصطلح الشهير «القرية العالمية» في الستينات من القرن الماضي، الذي أطلقه على وصفه للتحول الثقافي العميق في عالم تصل فيه موجات الراديو كافة أرجاء كوكبنا مع بعضها البعض. حلّ لوهان مجالات التقدّم في تكنولوجيا الاتصالات، التي مزّقت المجتمعات التقليدية كما الحديثة، قبل وقت طويل من ظهور العالم المترابط سلكياً الذي نعيش فيه اليوم.

حلل علماء عديدون الموضوع إلى ابعد من ذلك. أرجون ابا دوراي، عالم الانثروبولوجيا الهندي الذي يشغل في الوقت الحاضر منصب عميد الكلية الجديدة للأبحاث الاجتماعية في مدينة نيويورك، يعتبر العولمة على أنها «الاسم لثورة صناعية جديدة (تقودها تكنولوجيات جديدة قوية في الإعلام والاتصالات) بالكاد بدأت. ونظراً لحداثتها، فإنها تفرض أعباءً على مواردنا اللغوية والسياسية لفهمها وإدارتها». يُصنف أبا دوراي خمسة أنواع من الترابطات البينية التي تميز العولمة: الانتقال عبر حدود الدول للبشر، وللأموال، وللأفكار، وللصور الإعلامية، وللتكنولوجيات. والنقطة التي يختلف حولها الناس بشأن العولمة، وكثيراً ما يحدث ذلك بانفعال عاطفي، تعود إلى تحديد ما إذا كانت تأثيراتها في أكثرها حسنة أو سيئة. وكما وصفها موقع الإنترنت للبنك الدولي، شكّلت العولمة «أحد أكثر المواضيع سخونة التي جرت مناقشتها حول الاقتصاد الدولي خلال السنوات القليلة الماضية. وقد شكل النمو الاقتصادي السريع وخفض مستوى الفقر السريع في الصين، والهند، ودول أخرى، كانت فقيرة قبل 20 سنة، وجهاً إيجابياً للعولمة. لكن من جهة أخرى، ولّدت العولمة معارضة دولية كبيرة بسبب الهواجس حول زيادتها لعدم المساواة وللتردّي البيئي.»

كثيراً ما تبدو العولمة الاقتصادية على أنها نوع من السباق ينتج عنه غالبون وخاسرون حقيقيون. وفي كلمات موجز القضايا لصندوق النقد الدولي، «تُقدم العولمة فرصاً واسعة للتنمية الحقيقية عبر العالم لكن هذه التنمية لا تتقدم بنسب متساوية. تندمج بعض الدول في الاقتصاد العالمي بسرعة أكبر من غيرها. والبلدان التي تمكنت من تحقيق الاندماج تشهد بسرعة أكبر النمو الاقتصادي كما الخفض لمستوى الفقر لديها.»

يقول أبا دوراي، «في الولايات المتحدة وفي الدول العشر، أو ما يقاربها، الأكثر ثراء في العالم تُشكّل العولمة بالتأكيد كلمة طنانة وإيجابية لدى أفراد النخبة في الشركات، التي يُطلق عليها اسم الشركات الكبرى، ولدى حلفاء النخبة السياسيين. لكن بالنسبة للمهاجرين، والملونين، وغيرهم من الناس المُهمّشين (الذين يُطلق عليهم في «الشمال» اسم أهل «الجنوب»)، تُشكّل العولمة مصدراً

للقلق فيما يخص الاشتمال، والوظائف، وزيادة عمق التهميش للناس.» لكن العولمة توحي أيضاً بهواجس هائلة في الولايات المتحدة، كما في أجزاء أخرى من العالم المتطور، عندما تتخذ شكل استدراج الأعمال من خارج البلاد، أي نقل عمل المصانع والخدمات إلى دول تسود فيها أجور اقل. بالمقابل، أشار مؤخراً العالم الاقتصادي البريطاني فيليب لوغران إلى الفوائد الثقافية للعولمة. كتب لوغران يقول: «يكمن جمال العولمة في قدرتها على تحرير الناس من استبداد الجغرافيا. فهي تعني أنه من غير المفروض على المولود في فرنسا أن لا يطمح إلاّ للتكلم بالفرنسية، ولا يأكل إلاّ أطعمة فرنسية، ولا يقرأ إلاّ كتباً فرنسية، ولا يزور إلاّ متاحف فرنسية، وهلم جرا. فالافرنسي، بنفس قدر الأميركي، يمكنه قضاء عطلاته في أسبانيا أو فلوريدا، وأن يلتهم السوشي أو السباغيتي للعشاء، وأن يحتسي الكولا وأن يشاهد عرضاً هوليودياً مدويّاً أو حفلة تؤديها فرقة «المدوّر اللاتينية»، وأن يستمع إلى موسيقى البانغرا أو الراب، وأن يمارس اليوغا أو الكيك بوكسينيغ، وأن يطالع مجلة «إل» (Elle) أو «الإكونوميست» (The Economist)، وأن يكون لديه أصدقاء من جميع أنحاء المعمورة.»

ينضم أيضاً المعلق الصحفي في صحيفة نيويورك تايمز، توماس فريدمان، إلى معسكر المتفائلين بالنسبة لتأثيرات العولمة. فاستناداً إلى كتابه الأخير الذي راج كثيراً، «ذي وورلد إز فلات» (العالم مسطّح) تعني تكنولوجيات الإنترنت أن بالإمكان نقل العمل إلى أي مكان من العالم بحثاً عن الخبرة والأجور المنخفضة للأيدي العاملة. وبذلك سوف يتعزّز التعاون الخلاّق. يقوم الأطباء في بنغالور، بالهند، بتفحص صور أشعة مرضى أميركيين في الحين الذي يرقد فيه هؤلاء ليلاً في النوم، وهو تطور يفيد كلا البلدين، في رأي فريدمان. فطبقاً للاستعارة التي يفضلها فريدمان، لقد تمت تسوية أرض ملعب المنافسة الاقتصادية.

من جهة أخرى، وحتى بالنسبة لفريدمان، لدى العولمة عناصرها المقلقة. كتب يقول، «يعني العالم المسطح أننا نربط سوية كافة مراكز المعرفة على كوكبنا في شبكة عالمية وحيدة، هذا إذا لم تعرقل مسارها السياسة والإرهاب، والتي يمكنها خلق عصر جديد من الازدهار والابتكار». وأضاف، «لكن التأمل في العالم المسطح ملأ قلبي بالرهبة أيضاً... نجمت رهبتي الشخصية هذه عن الواقع الظاهر بأن مؤلفي برامج الكمبيوتر ومهووسيها لا يمتلكون بمفردهم قدرة العمل المشترك في العالم المسطح، بل تمتلكه كذلك منظمة القاعدة والشبكات الإرهابية الأخرى. لا تجري تسوية الملعب فقط بطرق تجتذب فيها، وتوفّر التمكين الفائق إلى، مجموعة جديدة بالكامل من المبتكرين. فتسوية ارض ملعب التنافس تتم بطريقة تجتذب إلى اللعب مجموعة جديدة كاملة من الرجال والنساء الساخطين، والمحبطين، والمهانين.»

كلود سماوجا، وكلاوس شواب، اثنان من مؤسسي المنتدى الاقتصادي العالمي، وهي المؤسسة القائمة في سويسرا التي تجمع سوية قادة من رجال الأعمال والمسؤولين الحكوميين لتحسين أوضاع العالم، لخصا التحدي الأولي الذي تواجهه العولمة. كتبا يقولان في العام 1999، «في زمن يتوجه فيه التشديد نحو توفير القدرة أو زيادة التمكن للناس، ونحو دفع الديمقراطية قُدماً في كافة أنحاء العالم، ونحو تمكين الناس من التحكّم في مصائرهم، أرست العولمة سيادة الأسواق بطريقة لم يسبقها مثيل». أضافا، «علينا ان نبين ان العولمة ليست مجرد كلمة ترمز إلى التركيز الحصري على القيمة للمساهم فيها على حساب أي اعتبار آخر؛ وان التدفق الحر للسلع والرساميل لا يتطور بشكل يؤذي فئات الناس الأكثر تعرضاً للأخطار، أو يضرّ بالقيم الاجتماعية والإنسانية السائدة. فإذا عجزنا عن ابتكار طرق لجعل العولمة أكثر اشتمالاً لجميع الناس سوف نضطر لمواجهة احتمال إعادة الانبعاث للمنازعات الاجتماعية الحادة السابقة بعد أن تكون قد ضخّمتها العولمة على المستوى الدولي.» ■

جورج كلاك
كبير المحررين

محادثة حول العولمة

جمعنا ثلاثة خبراء لمناقشة موضوع العولمة والاستياء الذي تولده.

أدار جلسة تبادل الأفكار، جيمس غلاسمان، الباحث المقيم في معهد أميركان إنتربرايز، رئيس تحرير سابق، ناشر، ومُعلّق في صحيفة واشنطن بوست، والمضيف حالياً لموقع الإنترنت TCSDaily.com، الذي يركز على الصلة بين التكنولوجيا العالية والسياسة العامة.

موسى نعيم، رئيس التحرير الحالي لمجلة «السياسة الخارجية» (فورين بوليسي)، وعالم اقتصادي فنزويلي عمل كمسؤول في البنك الدولي، وشغل منصب وزير التجارة والصناعة في فنزويلا في التسعينات من القرن الماضي. كتابه الذي نشر مؤخراً، محرّمات: كيف يختطف المهربون، والمتاجرون بالممنوعات، والمزيفون الاقتصاد العالمي.»

كلود بارفيلد خبير في التجارة، ومستشار سابق للممثل التجاري الأميركي، وباحث مُقيم في معهد أميركان إنتربرايز. ألّف كتاب، «التجارة الحرة، والسيادة، والديمقراطية: مستقبل منظمة التجارة العالمية». ويؤلف حالياً كتاباً حول الصين.

في حين يرى كثيرون في العولمة تطوراً حديثاً، يُبيّن خبراؤنا أنها ظاهرة كانت مستمرة منذ وقت طويل، وبأشكال متنوعة، وحتى منذ أن بدأ الناس في أي بلد بالمتاجرة مع الناس في بلد آخر. في الواقع، اعتُبرت الفترة الممتدة من سبعينات القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى، والتي كانت فترة من التغيير الهائل في وسائل النقل والاتصالات، على أنها العصر الذهبي للعولمة. يتطرق النقاش الواسع النطاق التالي إلى التغييرات الأخيرة في الصين وأوروبا الشرقية، وإلى مستقبل الدولة القومية، وعمليات التزييف، وأشكال أخرى من التجارة غير المشروعة، وكيف تؤثر العولمة على العالم النامي، وصلتها بإعادة انبعاث الإيمان الديني، وتأثير العولمة على كل من الديمقراطية والديكتاتورية.

غلاسمان: دعونا نبدأ بسؤال أساسي. ما هي العولمة؟

بارفيلد: حسناً، لكل مرء تعريف مختلف لها، على ما أظن، لكن بالعبارات التي أرتاح إليها، أعتقد بأنها تعني تأثير التغييرات التكنولوجية على البلدان الإفرادية، والمجتمعات الإفرادية، بمرور الزمن. وأعتقد أيضاً أن العولمة تعتمد بدرجة كبيرة على التكنولوجيا. لم يكن من الممكن للعولمة الأكثر ترابطاً، كالتي نشهدها اليوم، أن تتطور دون التقدم الباهر الذي تحقق على امتداد عدة عقود ماضية في تحسين كفاية أنظمة النقل (التصنيع وتسليم الإنتاج في الوقت المُعيّن)، والتي استندت إلى ثورة الاتصالات التي أتاحت التراسل الفوري مع الأفراد والمنظمات حول العالم.

غلاسمان: هل هذه ظاهرة جديدة؟

بارفيلد: كلا، أعتقد أن بإمكانك أن تُعيد ظاهرتها إلى العصر الإغريقي. ففي أي وقت تنشأ فيه تجارة بين دول أو مجتمعات مختلفة، تبدأ عند ذاك العولمة، لأن ما يحدث عندئذ هو تبادل الأفكار، والتحركات، والمعاملات، أي المعاملات التجارية، بين

الشعوب المختلفة. هذه هي البداية، إذا جاز التعبير، للعولمة. أي حين لا تعود مُقيماً في مجتمع إنساني مُنعزل دون أي اتصال مع غيره.

غلاسمان: إذاً، أنت تُعرّف العولمة استناداً إلى التجارة؟

كلود بارفيلد

"أعتقد أن بإمكانك أن ترجع فيها إلى العصر الإغريقي. ففي أي وقت تنشأ فيه التجارة بين دول أو مجتمعات مختلفة، تبدأ عند ذاك العولمة، لأن ما يحدث عندئذٍ هو تبادل الأفكار، والتحركات، والمعاملات، أي المعاملات التجارية، بين الشعوب المختلفة."

بارفيلد: حسناً، اني أحاول (أن أعرّفها) بالاستناد إلى سياقاتها المجتمعية كما التجارية. الفترتان الزمنيتان الأكثر حداثة اللتان ينظر إليهما الناس، هما فترة أواخر القرن التاسع عشر وفترة أوائل القرن العشرين، أي من حوالي السبعينات في القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى، حين حصلت تغييرات في الأساليب القائمة لأنظمة النقل والاتصالات، فبدأ ينحبك لدينا نسيج وثيق جداً جداً، لما قد نسميه العالم المتطور، والذي كان في الواقع أشد إحكاماً مما هو عليه العالم المتطور اليوم. ويعتبر البعض تلك الفترة على أنها، إذا جاز التعبير، عصراً ذهبياً للعولمة. ولاحقاً، يمكننا أن نعود لنبدأ بمتابعة عودة هذه الظاهرة تدريجياً بعد عام 1945، ومن ثم نشهد قوتها المتجمّعة في السبعينات، والثمانينات، والتسعينات من القرن الماضي حين بدأ في الواقع ذلك التفجّر الهائل في التكنولوجيات الجديدة المستندة إلى الاتصالات الفورية والسفر العظيم السرعة.

أعتقد أن السياسة العامة تستطيع بالتأكيد أن تؤثر في العولمة. إذا نظر المرء إلى السياسات المُتبعة بعد عام 1920–1921 في الولايات المتحدة، ومن ثم بعد أن بدأت فترة الركود الاقتصادي الكبير في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي في أوروبا والولايات المتحدة، كما في تلك الدول، كالأرجنتين. والتي كانت قد حققت بالفعل تقدماً جيداً خلال ذلك الفاصل الزمني، فإنه يجد أن كافة هذه البلدان كانت تتبع سياسات قد نسميها سياسات ما يسمى «بالاكتفاء الذاتي» (تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي أو الاستقلال الاقتصادي). فقد انكفأت تلك الدول على ذاتها حينذاك، فانقطعت التجارة وانقطع الاستثمار.

غلاسمان: فيما يخص دول «الاكتفاء الذاتي» هذه، هل لا زال هناك عدد هام منها؟

بارفيلد: يمكنك أن تأخذ كوريا الشمالية كمثال واضح عن ذلك اليوم، ولكن حتى هذا المثال بدأ ينهار. وكذلك أعتقد أنه كانت لدينا أيضاً أنظمة الاكتفاء الذاتي التي أقامها الاتحاد السوفياتي في أوروبا الشرقية، والتي اتبعت سياسات داخلية لا تجد فيها بالواقع الكثير من النشاطات التجارية.

غلاسمان: يقول بعض الناس أن العولمة فكرة أميركية وأن باقي دول العالم تتبنى بذلك مفهوماً أميركياً. هل هذا القول دقيق؟

بارفيلد: فقط إلى المدى الذي أعتقد فيه أن الولايات المتحدة، نظراً لموقعها خلال القرن العشرين، كانت دائماً تقف عند الحد القاطع المتقدم للتكنولوجيا. وكان هذا صحيحاً حتى خلال فترة الركود الاقتصادي الكبير.

غلاسمان: ما هي فوائد العولمة؟

بارفيلد: أعتقد أن الفوائد الرئيسية هي القدرة على استهلاك سلع أفضل ومنتجات أفضل بأسعار أقل، وبالتالي تأمين حياة من نوعية أفضل. تبدأ الفوائد في الاقتصاد ولكنها لا تنتهي عندها لان للناس غايات أخرى في حياتهم بالإضافة إلى مجرد الأهداف الاقتصادية. واني أعتقد أن العولمة وسيلة تمكنهم من بلوغ الغايات البعيدة الأخرى الشخصية، والقومية، والاجتماعية.

غلاسمان: موسى، تحدثت في كتابك الجديد «المحظور: كيف يخطف المهربون، المتاجرون بالممنوعات، والمقلدون الاقتصاد العالمي» حول العولمة ليس فقط على أساس تكنولوجي بل وسياسي أيضاً. تقول، «أحد التغييرات الرئيسية الذي تُعيد إلى الذاكرة الموجة الأكثر حداثة من العولمة هي الثورة في السياسة، والتي كان لها نفس العمق والقدرة التغييرية القائمة في التكنولوجيا». أخبرنا، هل أن هذه الثورة في السياسة حدثت بسبب الثورة في التكنولوجيا أو الثورة في أنظمة الاتصالات؟ كيف حدث ذلك؟

نعيم: لا أظن أننا نعرف كيف حدث ذلك. كل ما نعرفه هو أن الثورتين حصلتا في نفس الوقت وهناك مبرر جيد ومتين للقول إنه كلما ازدادت كمية المعلومات التي يمتلكها الناس كلما تعززت حريتهم في التعلّم كيف يعيش الآخرون. أنشأ ذلك حوافز قوية لهم أيضاً للجهاد والكفاح من أجل الحرية. إذاً هناك صلة بين التكنولوجيات الجديدة في أنظمة الاتصالات والنقل وبين الثورات السياسية التي حدثت في التسعينات من القرن العشرين، والتي فتحت الحدود

وأنشأت موجة مُحفزة لنشر الديمقراطية. سوف يكون من الصعب جداً تحديد ماهية السببية ولكن ذلك لا يهم، فما نعرفه هو أن هذين الأمرين تلاقيا في نقطة واحدة، وأعتقد أن هذا مهم جداً.

أحد الأشياء التي أحاول أن أحققها في الكتاب هو فصل الربط الذهني الكثير الشيوع بين العولمة والتجارة، أو بين العولمة والاستثمار، أو بين العولمة والاقتصاد. أعتقد أنه من المهم جداً أن نفهم بأن العالم متصل عبر طرق تتجاوز الاقتصادات وتتجاوز التجارة. وكما تعرف، فان حدث 11/9 يُشكّل نموذجاً عن العولمة. كان الاضطراب السياسي في الجانب الآخر من العالم هو الدافع إلى الهجوم على مركز التجارة العالمي. اعتمد الإرهابيون على أدوات وتكنولوجيات العولمة كما استغلوا أيضاً الفرص التي أوجدتها الحدود الأكثر انفتاحاً بسبب التغيرات السياسية.

بارفيلد: أوافق على ذلك. ولكني لست متأكداً ما هي أبعاد الثورة السياسية. ولكن لدي ملاحظة تحذيرية. إنها لغز يتوجب علينا أن نجد حلاً له في السنوات القادمة ولا يتوجب علينا فحسب، بل على كل الدول. بوجود العولمة تستطيع التكنولوجيا ان تدخل عبر الحدود، والحكومات لا تملك نفس السيطرة على سكانها بقدر ما كانت تملكه في السابق، إلاّ أن مفهوم الدولة القومية لا يزال يُشكّل نقطة الارتكاز الوحيدة للمشروعية الديمقراطية. لا توجد ديمقراطية تعلو على مفهوم الدولة القومية. من الممكن الحصول على ديمقراطية أخرى عند نقطة معينة، ولكن عليك ان تعمل على الأمر من خلال مقاربة ما هو ممكن و/أو ما هو مشروع لتقوم به الدولة، وما عليها ان تتخلى عنه. ونحن نتناقش حول ذلك. أعني حول موقف الإدارة الأميركية بالنسبة للمحكمة الجزائية الدولية أو ماهية السلطات التي ينبغي منحها إلى منظمة الأمم المتحدة، وحتى إلى منظمة التجارة العالمية.

غلاسمان: قال العديد من الناس إنه بقيام تكنولوجيا العولمة سوف تذوي وتتلاشى الدولة القومية. الآن، قد يكون مبكراً بعض الشيء رؤية أنها تتلاشى، ولكن هل تعتقد أن هذا هو ما سوف يحدث؟

نعيم: كلا. وأوافق على أن الدولة القومية عنصر تنظيمي مركزي وجوهري للنظام الدولي. هناك نقاشات كثيرة حول ما إذا كانت الدولة القومية تتلاشى، وأظن بصراحة، أنها مناقشات سخيفة. أعتقد أن الدول القومية سوف تبقى معنا لمدة طويلة. فالذي يحصل هو أن الدولة القومية تتغير بسبب العولمة، وتتحول بفعل السياسات الليبرالية المتأصلة في الكتنولوجيات الجديدة. كما أن التقييدات المفروضة على الدول القومية أصبحت أشد صرامة وأضيق مما كانت عليه في الماضي. إذا تحدثت مع أي رئيس دولة اليوم، حتى الذين يمارسون حكماً دكتاتورياً، سوف يخبرونك بأن عددهم محدود جداً أو محدود أكثر مما كان في الماضي.

BULLIT MARQUEZ ©AP/WWP

المدير العام لمنظمة التجارة الدولية باسكال لامي، إلى اليمين وجون تسانغ، وزير التجارة في هونغ كونغ ورئيس المؤتمر الوزاري لمنظمة التجارة العالمية، يهنئان أحدهما الآخر بعد انتهاء المؤتمر القمة الذي استمر ستة أيام في كانون الأول/ديسمبر، 2005.

غلاسمان: إذاً ما هي أنواع التقييدات؟ هل تتعلق بإتاحة فرصة أكبر للسكان للاتصال بالعالم الخارجي أو انها تتعلق أيضاً بتدفق الرساميل إلى البلدان؟

نعيم: تتعلق كل هذه الأمور مجتمعة. يجب على الحكام الدكتاتوريين ان يتعاملوا مع أسواق السندات والأنظمة المالية الدولية حيث أنها تُقيّد خياراتهم الاقتصادية. عليهم كافة أشكال التقييدات كما لديهم الكثير من الإمكانيات التجارية، ولكن تواجههم أيضاً المعايير الدولية. لا يمكنهم ممارسة التعذيب بنفس الحرية وبشكل علني كما كانوا يفعلون في السابق. لا زال يحصل هذا الأمر ويستمر في الحصول ولكن أصبح لدينا الآن تغيير مثير للاهتمام نتيجة العولمة والتغييرات التي حصلت في التسعينات من القرن الماضي يتمثل في عدم استطاعة الحكام الدكتاتوريين النوم بسهولة خلال الليل كما في السابق. لم يعد الحكام الدكتاتوريون ينتقلون دوماً بسهولة من القصر الجمهوري إلى منازل وفلل في الريفيرا. فقد ينتهي الأمر بهم إلى المحاكمة كما حدث لميلوسوفيتش.

غلاسمان: أود أن أتحدث عن الجانب السيئ للعولمة بما أن كلود تحدث سابقاً عن الجانب الجيد منها، أي تعزيز النمو الاقتصادي والانفتاح الأوسع على الأفكار الجديدة، وربما، كما تقول، تطبيق قدر أكبر من الديمقراطية وسيطرة أقل على أيدي الحكام الدكتاتوريين. تتحدث في كتابك بالفعل عن حالة عجز واحدة من حالات العجز التي يشكو منها نظام العولمة، تقول إنك مقتنع بوجود متزايد باستمرار السرقة أو الانتحال للأفكار والأشياء. تبدأ بسرد طرفة هائلة حول كيف تمت سرقة نصوص كتاب السيرة الذاتية لبيل كلينتون في الصين، وأعيدت صياغتها إلى حد مُعيّن. هل هذا أمر يجب أن يثير قلقنا بالفعل؟ هل يُشكّل استنزافاً لموارد دول تكرس جهودها لتطبيق قوانين تحمي الملكية الفكرية؟

نعيم: إنه سؤال عظيم. عندما يفكر المرء بالبلدان، وبما يحدث من تفجّر في التجارة الدولية بالأشياء المزيفة، الأمثلة التي تتبادر إلى الذهن تتعلق بشراء تلك الأحذية الرياضية الخفيفة الباهظة الثمن مقابل دفع جزء ضئيل من ثمنها إذا كانت مزيفة، أو شراء حقائب اليد الأنيقة للسيدات، أو التسجيلات الفيدوية للأفلام السينمائية والمؤلفات الموسيقية التي تُستنسخ باستمرار، وتستعمل بدون دفع أي ثمن مقابل لها. هنا يبرز السؤال، بمن تضر، في النتيجة، هذه الأعمال؟

لكن المرء يميل إلى نسيان أمور عدة. أولاً، هل أن الأعمال التجارية غير المشروعة مرتبطة ببعضها البعض، وأنه في أحيان كثيرة جداً يكون الذي يبيعك الحقيبة النسائية الأنيقة، أي البائع الجوال، هو نفسه غير مشروع بقدر عدم مشروعية حقيبة اليد التي يبيعك إياها؟ ربما جرى تهريب هذا الشخص من بلد آخر لاستخدامه واستغلاله من قبل شبكات تمارس تهريب الناس لغرض بيع هذه السلع المزيفة. فهو يماثل عمل الخادم المتعاقد الذي يحاول تسديد المبلغ الذي يدين به إلى المهربين.

في أحيان كثيرة لا يكون هؤلاء العمال متطوعين يسعدهم القيام بمثل هذه الأعمال. في أحيان كثيرة، كما هو الحال في الاتجار بالنساء على النطاق الدولي، يتم إغراؤهن بفرصة العمل، إقناعهن بفكرة أنهن ينقلن من أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية للعمل كخادمات في المنازل ومن ثم يجبرن على ممارسة البغاء ويتم استغلالهن. وهذا عنصر هائل من تلك التجارة.

في العودة إلى قضية المزورين. يمكننا التندّر حول كيف يمكن للمرء شراء ساعة يساوي سعرها 5 آلاف دولار بمبلغ عشرين دولارا في شوارع مانهاتن، وهو أمر غير مؤذٍ، ولكن هناك أشياء أخرى مزيفة في غاية الخطورة. تباع قطع غيار مزيفة للطائرات تكون معابة وتسبب حوادث تحطم طائرات. توجد أدوية مزيفة تقتل بدلاً من أن تشفي. وهناك كافة أشكال الأبعاد التي ترتبط بهذه النشاطات التجارية التي لا يمكن تحمل نتائجها بنفس سهولة تحمّل نتائج شراء ساعات وحقائب يد مزيفة.

غلاسمان: كلود، دعنا نتحدث عن بعض الانطباعات الذهنية الأكثر شعبية للعولمة. لقد حضرت للتو اجتماع منظمة التجارة الدولية في هونغ كونغ. كان هناك بعض مزارعي الأرز من كوريا الجنوبية الذين جذبوا الكثير من الاهتمام نتيجة المظاهرات التي قاموا بها. تمحورت شكواهم حول أنه في حال فتحت كوريا الجنوبية أسواقها أمام التجارة بالأرز، فسوف يجدون أنفسهم بدون عمل. يقولون بأنهم لا يستطيعون عمل أي شيء باستثناء زراعة الأرز، ولا يصلحون لعمل أي شيء آخر. إنهم ناس يتقدمون في العمر، والأرز قليل الثمن على أية حال. لذلك هل أن مأزق زراعة الأرز يُشكّل جزءاً من التأثير السلبي للعولمة أم انه سوف يكون إيجابيا فعلاً في نهاية المطاف؟

BULIT MARQUEZ ©AP/WWP

يستعد مزارعو الأرز في كوريا الجنوبية للتظاهر ضد تخفيض الحواجز أمام تجارة الأرز خلال المؤتمر الوزاري لمنظمة التجارة العالمية في هونغ كونغ في كانون الأول/ديسمبر، 2005.

بارفيلد: أظن أن كل البلدان مُقصّرة في التعامل مع الجوانب السلبية لفتح أسواقها أمام التجارة أو الاستثمارات، وذلك بصورة أساسية بسبب كون السياسات التي تتبعها ليست صحيحة بالكامل. استمر المزارعون في كوريا الجنوبية في زراعة الأرز طوال أجيال عديدة ولم يتقدم أي كان، إلا من خلال الاستنزاف الذي يحصل واقعياً في كوريا، لمحاولة تسهيل هذا التغيير، أي هذه العملية الانتقالية. أظن ان كل البلدان مقصرة. لا نملك فعلاً أداة تمكننا من إجراء هذا التعديل ولكن هناك بالتأكيد واجب أخلاقي أو اجتماعي على الدولة المشاركة في هذا العمل أكانت كوريا أو الولايات المتحدة أو بريطانيا أو الدول الأوروبية، في أن تتدخل للمساعدة. ومن المحتمل أن يُشكّل ذلك وضعاً مؤلماً جداً.

مع ذلك، هناك جانب آخر لهذا الوضع. عند النظر إلى الحركة المناهضة للعولمة، يبرز قدر فيها كبير من الرومانسية بأن علينا أن نبتعد عن تلك القبائل في الجزء الأعلى من مجرى الامازون أو المزارعين الفقراء في جنوب المكسيك، بأن شيئاً مريعاً يحصل لهم لأن المكسيك فتحت أسواقها أمام التجارة الحرة. حسناً، فكر بالحياة التي يعيشها هؤلاء الناس. أنت تعرف بأننا نفكر بالأيام القديمة الجيدة، أي الحياة الزراعية العظيمة التي سادت في القرن التاسع عشر. لكن حتى في مزارعنا الأميركية في الغرب الأوسط والجنوب، كانت تلك أياماً طويلة جداً، فلم يكن الناس متعلمين وكانت حياتهم كادحة وشاقة. لذلك فالمسألة تتعلق بالفترة الانتقالية، والمستندة إلى السياسة العامة، التي أعتقد أنها مهمة. لكن كما ذكره المتحدث الآخر، لن نتمكن من إيقاف ذلك. فالمسألة هي كيف ستجعل فترة التكيّف مقبولة اجتماعياً، أو أخلاقياً؟

HUANG SHENGANG ©AP/XINHUA/WWP

موظفو الجمارك الصينيون يدققون في منتجات إلكترونية مزيفة صودرت في أيار /مايو، 2005، في قضية شملت حوالي 460 الف بطارية سوني و30 الف سماعة اذن سوني مزيفة.

غلاسمان: هل تظن أن هناك طريقة لجعل هذا التكيّف مقبولاً، كما يقول بعض الناس، أي اتباع خطوة مختلفة لإزالة الحواجز التجارية أمام الدول النامية بالمقارنة مع الدول المتطورة؟

بارفيلد: قالت الولايات المتحدة وقال الأوروبيون والدول المتطورة، إننا نحتاج إلى عقد أو عقد ونصف لإزالة الحواجز أمام تجارة الأقمشة والملابس التي تُشكّل القطاعات التي تحظى بحماية قصوى في العديد من الاقتصادات. ولذلك قلنا في أوائل التسعينات من القرن الماضي اتركوا لنا هذا العقد. تقول الدول النامية بصورة مماثلة، حسناً، اتركوا لنا هذا العقد أو العقد والنصف الإضافي. لكن المشكلة التي نواجهها هي أن لا أحد يقوم بأي شيء في هذا النطاق.

لذلك، ليس لدي أية مشكلة تتعلق بإعطاء وقت أطول، ولكن يجب أن يكون وقتاً محدداً مثبتاً بمتانة قدر الإمكان. وعلينا أيضاً أن نحتفظ في أذهاننا بما تتحدث عنه كثيراً الدول النامية عندما تتحدث عن ما يسمى المعاملة الخاصة أو المميزة، أي أن تسمح هذه الدول لنفسها بأن تعاني لمدة أطول من الكوارث التي تلحقها بها احتكاراتها المحلية وصناعاتها غير الكفؤة. لذلك أنت لا تقدّم لها بالواقع خدمة كبيرة.

غلاسمان: بالإضافة إلى التجارة غير المشروعة في السلع المزيفة هل للعولمة جانب سيئ؟

نعيم: للعولمة نتائج سلبية، وقد بدأنا نشاهد بعضها فعلاً. هناك شعور عام بالانزعاج فيها لدى السكان. إننا نعرف أن قدراً كبيراً من مقاومتهم يعود إلى شعورهم بأن شيئاً كبيراً يحصل، أي تغييرات تؤثر بعمق كبير جداً على طريقة حياتهم، بحيث قد تتمكن أو لا تتمكن بعض الشركات من البقاء. تجري حالياً عملية إعادة تعريف لقطاعات بكاملها. سمعنا في هذا البلد، الولايات المتحدة، في السنة الماضية نقاشاً حاداً للغاية حول استدراج الأعمال من الخارج، حول استخدام الموظفين في آسيا، في الهند، للقيام بالعمل الذي كان من المعتاد القيام به هنا. يمكنك اكتشاف الكثير من القلق الذي يتجاوز مسألة فقد فرص العمل. إذا قست الخسارة لفرص العمل بسبب تحويل الوظائف إلى الخارج تجد أنها صغيرة جداً. لكن النقاش يجعلنا نعتقد أن الخسارة ستكون لمئات الآلاف من الموظفين الأميركيين الذين سوف يفقدون وظائفهم، وهذه ليست هي المسألة.

فهكذا هناك هاجس عام حول العولمة نظراً لوجود شعور بأن هناك تغييرات تجري تؤثر علينا جميعاً لكننا نجهل كيف ستؤول إليه الأمور في النهاية بالنسبة لعائلاتنا، ولأنفسنا، ولشركائنا، ولمجتمعاتنا، وهل سنتضرر أم لا.

غلاسمان: كان لدي دائماً الشعور بان العولمة نموذج لشيء تكون فيه الفوائد واسعة الانتشار، ان تكاليف تطبيقها محدودة جداً وأنها ستؤذي صناعات معينة، مثل صناعة الأحذية في أميركا أو صناعة الأرز في كوريا، وأن أصحاب هذه الصناعات سوف يصيحون ويصرخون، ولكننا نتحدث الآن عن شيء أكبر، نتحدث عن قلق واسع الانتشار أكثر. فهل لذلك القلق أساس بالفعل؟

نعيم: أفضل مثال هو النموذج الذي أعطيته بنفسك حول مزارعي الأرز في كوريا الجنوبية، لأنني أتساءل أين كان موقع مستهلكي الأرز في تلك الاجتماعات؟ بالطبع هناك جيل كامل من مزارعي الأرز في كوريا الجنوبية سوف يعاني من التعديلات التي سوف يتم إدخالها إلى قوانين التجارة بالأرز. ولكن بالمقابل سوف يستفيد عدد أكبر من الناس من الانفتاح التجاري ومن إلغاء الإعانات المالية، أي الإعانات المالية التي تشوه التجارة بالأرز. يوجد مستهلكون غير ممثلين هناك لان كل واحد منهم سوف يستفيد بطريقة صغيرة، بطريقة ضئيلة للغاية في أحيان كثيرة، بينما سوف يتأذى المزارعون الكوريون فوراً بطريقة يمكن قياسها بشكل واضح. لذلك يصبح حشدهم وتنظيم تحركهم أسهل بكثير.

الجواب على النقطة التي أثرتها هو نعم هذا هو ما يحصل، ولكن هناك أمرا أبعد من ذلك. وأعتقد أننا لا زلنا نُكيّف عقولنا للتعامل مع عالم جديد حيث كانت الأيديولوجيات التقليدية من الماضي، أي الاشتراكية أو الشيوعية وفق نمط الاتحاد السوفياتي، كما تعلم، توفّر لأعداد كبيرة من الناس مرتكزات يعتمدون عليها حول طريقة التفكير بالعالم وكيفية تفسير التغييرات؛ عالم كانت توجد فيه قوتان عظيمتان توازن إحداهما الأخرى. اما الآن فلا توجد سوى قوة عظمى واحدة وتصلنا في كل يوم أخبار التغييرات التي لا نعرف كيف نُفسرها، ابتداءً من الاستنساخ للمخلوقات مروراً بالشؤون التي تأتي بها شبكة الإنترنت والمتاجرة بالممنوعات، والحرب في العراق، وانتهاءً بالإرهابيين الانتحاريين الدوليين الراغبين في أن يَقتلوا ويُقتلوا.

بارفيلد: لكن هذا لأمر ببساطة غير صحيح في المجتمعات المغلقة؛ ولكنه صحيح في الولايات المتحدة. نحن مجتمع كان بصورة تقليدية مجتمعاً متحركاً يقبل أفكاراً جديدة ويملك قدرة أعظم على القيام بذلك دون قلق بدرجة أكبر من القلق الذي يصيب مجتمعات أخرى. ولكن أعتقد أن النظر إلى أبعد من الاقتصادات يولد إحساساً أعظم الآن بأن هناك عددا كبيرا من القوى الخارجة عن نطاق سيطرتنا. أعني بذلك الأفراد ولا أعني الحكومات وقد تتولد هذه القوى من أي شيء ابتداءً من التكنولوجيا البيولوجية وانتهاءً بالتأثير الاستثنائي لثورة المعلومات.

أعتقد أن الشباب يقبلون الكثير من هذه الأفكار، ويفهمون كيف يتعاملون مع هواتفهم الخليوية ومع كافة أجهزة الكمبيوتر وغيرها، ولكنهم أكثر إدراكاً لحقيقة هذه الأمور وأهميتها، حتى لهم، ولو كانت هذه التكنولوجيا بالواقع تثير البلبلة في العقول.

غلاسمان: لكن هناك أمورا تخرج عن سيطرة الناس أكثر مما كانت في السابق، أو هل أننا أصبحنا نعرف حول ما يدور في العالم أكثر مما كنا نعرفه قبلاً؟ بكلمات أخرى، اني أثير مجدداً دور أنظمة الاتصالات التي قد تكون لها تأثيرات مفيدة إجمالية ولكنها في نفس الوقت تستطيع ان تولد الكثير من القلق. فعلى سبيل المثال، لاحظنا ازدياد عدد الكوارث الطبيعية، ولكن يعتقد بالفعل علماء كثيرون أن عددها ليس على ازدياد، بل أن الأمر هو أننا أصبحنا نعرف الآن ما يجري حولنا.

بارفيلد: أفكر بهذا الائتلاف. الناس يتحدثون عن هذه الأمور، أي أنك تسمع تلك القصص من أوائل منتصف القرن التاسع عشر عندما شاهد الناس للمرة الأولى قطاراً سائراً فأدخل ذلك الرعب في قلوبهم. أو عندما حصلت على أول جهاز راديو تجتاز من خلاله حدود وطنك أو مدينتك في الولايات المتحدة. لكني أظن، أن الأمر يعود إلى نطاق التغيير الذي يأتينا من كل الاتجاهات في نفس الوقت، ومن كافة حقول المعرفة، أي من التكنولوجيا والعلوم كذلك.

غلاسمان: موسى، هل توجد صلة بين العولمة وبروز الإيمان الديني، التي يطلق البعض عليها اسم الأصولية الدينية، والتي نلاحظها ليس فقط في العالم الإسلامي بل في الديانات الأخرى؟

جيمس غلاسمان

"هل توجد صلة بين العولمة وبروز الإيمان الديني، التي يطلق البعض عليها اسم الأصولية الدينية، والتي نلاحظها ليس فقط في العالم الإسلامي بل في الديانات الأخرى"

نعيم: نرى هذا في الولايات المتحدة. لا شك في ذلك. تكون النتائج التحرك نحو الزيادة في التدين والزيادة في الممارسات الرسمية للشعائر الدينية، وحتى إلى وجود أكبر للتفسيرات الأصولية للدين في الحياة اليومية، وحتى في السياسة. أعتقد أن وراء سؤالك هناك فرضية قوية بأنه مع تغيّر العالم، إما بسبب العولمة أو ثورة المعلومات، كما بسبب كافة التغييرات التي تحدثتما عنها التي تمسنا جميعاً، أصبح الناس يبحثون عن مرتكزات يستندون إليها.

والذي يحصل هو الهبوط في إمكانيات التكهن. كان لدى الناس في السابق شعور أن مسيرة حياتهم سوف تكون تقريباً كما سارت حياة جيرانهم وعائلاتهم. اما الشعور الآن هو أن من الممكن أن تحصل لديك الكثير من الأمور في حياتك، أي الكثير من الأمور الرائعة كما يمكن أن تحصل أيضاً بعض الأشياء الرهيبة جداً تجعل حياتك وحياة أفراد عائلتك تختلف عن حياة جيرانك، أو عائلتك، أو أشقائك، أو شقيقاتك.

ولذلك بوجود هذا الشعور بالشك، بالقلق حول أين تتجه إليها الأمور، يحتاج الناس إلى شيء يتمسكون به، واعتقد أن هناك فرصة قوية جداً لتحقيق ذلك من خلال الدين. هذا ما يحصل في بعض البلدان. وفي بلدان أخرى، حل الدين محل الأمل بالازدهار كأسلوب فكري. في الكثير من دول الشرق الأوسط، كما تعلم، الأداء الاقتصادي تعيس، وحتى في البلدان الثرية. وإذا جمعت ذلك مع الأوضاع الديموغرافية حيث لا يملك العديد من الشباب وصغار السن بالأساس أي أمل، أي أمل بسياسات أفضل، أو بالمشاركة في الحياة العامة والحياة السياسة في البلاد، أو أي أمل لتحقيق الرخاء لهم بالفعل والحصول على سلع مادية أكثر، يصبح الدين خيار مثير جداً للاهتمام. وفي أحيان كثيرة يُشكّل الخيار الوحيد، أي لتكريس الفرد لحياته إلى قضية، إلى فكرة، إلى أمل أو إلى عاطفة، إلى الإيمان الديني العميق.

بارفيلد: لكنني أعتقد أن الشيء المثير بالفعل وجوب أن يكون الشرق الأوسط في المقدمة وفي المركز. أعني، فكر بمجرد ما يحدث فيه. تحدثنا عن حياة الناس التي تُقلع من جذورها ويتم تغييرها. فكر بشخص شاب، لنقل عاش في الستينات، أو السبعينات، أو الثمانينات من القرن الماضي في الصين، فكّر ماذا كان يقول. ثم فكر في هذا الجيل الذي ينطلق الآن. لنقل جيل المراهقين في الصين اليوم. كان

KHALIL SENOSI ©AP/WWP

بفضل انتشار التكنولوجيا الحديثة أصبح بإمكان أمينة هارون ان تتصل عبر هاتفها الخليوي وهي تبيع البطيخ في اكبر سوق للفاكهة والخضار الطازجة في كينيا.

لدينا عدد من الشباب في معهدي، شباب صينيون كانوا مقتنعين بأنه سوف يقوم شكل من أشكال الديمقراطية لديهم. إنهم نماذج عملية عن حملة شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، إنهم ليسوا من الحالمين، مع ذلك سوف يكون هذا التحول صعباً جداً.

غلاسمان: دعني أطرح ذلك السؤال، الذي أصبح مبتذلاً تقريباً، لكني لا زلت أحب أن أعرف الجواب: هل العولمة، دعنا نصفها بعبارات اقتصادية على أنها تعني الاقتصاد الأكثر انفتاحاً، اقتصاداً أكثر توجهاً نحو السوق، تقود بصورة طبيعية إلى الديمقراطية؟

نعيم: أظن أن الوقت لا زال مبكراً جداً للإجابة عن ذلك. لا نعرف.

غلاسمان: ليس في الصين فقط بل في أي مكان؟

نعيم: أي مكان. لا نعرف. نذكر، كانت لدينا موجات من العولمة عبر التاريخ، ليست هذه المرة الأولى التي عرف فيها العالم تكاملاً مكثفاً جداً بين اقتصادات مختلفة. بدأت الظاهرة الحالية بسرعة كبيرة في التسعينات من القرن الماضي. مرة أخرى، كانت ثورة المعلومات المتجاوزة مع انهيار الاتحاد السوفياتي؛ وفتح أسواق دول كانت مغلقة في السابق. إنها تحدث وبينما نتكلم الآن، وتحدث بسرعة وبطرق لا نفهمها بالكامل حتى الآن. تخلق العولمة في مناطق معينة ظروفاً أفضل للديمقراطيات وفي مناطق أخرى تعيق العولمة مسار الديمقراطيات.

غلاسمان: أين تعيق العولمة مسار الديمقراطية؟

نعيم: أفكر، على سبيل المثال، بالدول النفطية حيث أوجدت العولمة أسواقاً واسعة جداً. يعود جزء كبير من سبب ارتفاع سعر النفط إلى ما يحدث في الصين ولان الاقتصاد العالمي ينمو بدرجة ذات شأن كبير جداً. ينشئ هذا الواقع مصدراً متواصلاً من الإيرادات لحكومات استبدادية وهذه الإيرادات العالية جداً تكبت الإصلاحات الاقتصادية والديمقراطية.

بارفيلد: لا أخالفك في الرأي ولكن أعتقد أن الشيء المؤسف بالنسبة لهذه الدول هو أن يكون لها هذا المورد الوحيد، بحيث لا تؤثر فيها قوى العولمة بنفس القدر.

غلاسمان: أعتقد أن المشكلة الأكبر هي أن تكون الحكومات تملك وتسيطر على ذلك المورد الوحيد.

بارفيلد: حسناً، هذا صحيح ولكن الأمر بمجمله هو عدم اضطرار هذه الدول النفطية إلى التدافع كما فعلت البرازيل، أو الأرجنتين، أو التشيلي مثلاً. هذه المسالة برمتها، وفي الرجوع إلى سؤالك الأصلي، هل تولد العولمة الديمقراطية بصورة «طبيعية»؟ فالجواب هو كلا. لكن من جهة أخرى أنها معركة تجري في الأوساط الفكرية، التي أعتقد أن كتاب السيد نعيم تطرق إليها، أي بين الواقعيين وبين ما يعرفون باسم «الدوليون الأحرار». ولدينا في المعهد حيث أعمل، أولئك الذين يهتمون بالأمن والدبلوماسية يقولون إن الاقتصاديين أو الأفراد الذين يؤيدون العولمة يشعرون بالتأكيد بأن العولمة سوف تقود إلى الديمقراطية. حسناً، أنظر إلى الصينيين. لا يبدو أنها حققت ذلك. وأوافقك هذا الرأي. لا أعتقد بوجود تقدم طبيعي نحو الديمقراطية.

لكن، من الصحيح أيضاً أنه بوجود العولمة، أو حتى بواقع كون الحكومة الصينية تستطيع السيطرة جزئياً على الإنترنت كما تسيطر على مصادر معلومات أخرى، من المستحيل بالفعل في اليوم الحاضر السيطرة على السكان فيما يخص المعلومات، فيما يخص إحكام عزلهم، كما قد تستطيع فعل ذلك في أوروبا الشرقية، في المجر وتشيكوسلوفاكيا. في الخمسينات والستينات من القرن الماضي أو في الصين في الستينات من القرن الماضي. حينئذ تدرك أن الصينيين بدأوا أيضاً يسمحون لطلابهم بالسفر إلى كافة أنحاء العالم. فإذا كنت حاكماً استبدادياً تكون بفعلك هذا قد أطلقت قوى لن تتمكن في النهاية من السيطرة عليها. هل ستولّد العولمة الديمقراطية، لا أعرف. ولكن من الصحيح بالتأكيد أنها سوف تكون مثيرة للاضطراب لدى أي حكومة تكون في السلطة.

MANISH SWARUP ©AP/WWP

زبائن هنود يتجولون في أحد المتاجر الكبيرة في جوورغون، جنوب نيودلهي.

غلاسمان: هل توافق على ذلك؟

نعيم: نعم، أوافق على ذلك بالكامل. دعنا نتذكر للحظة أن أغلبية البشر يعيشون في اليوم الحاضر تحت أنظمة حكم غير ديمقراطية. إنه أمر اعتيادي. الإنسان الاعتيادي في اليوم الحاضر هو الفرد الذي لا يتناول ثلاث وجبات في اليوم، ولا يحصل على معلومات من مصادر مستقلة، هذا إذا حصل على أي منها. ثلث سكان العالم اليوم لا يملكون هاتفاً ولم يجروا أبداً اتصالاً هاتفياً، ومعظم البشر لا يعيشون في دول ديمقراطية. أغلبية الأطفال في العالم لا يرتادون المدارس وأغلبية الناس في العالم لا يعملون في وظائف يتقاضون أجوراً نظامية عنها.

بارفيلد: ولكني أظن انه يجب علينا أن نكون حذرين. أعتقد أنه قد يتوجب علينا القول بأن أكثر من أي وقت مضى في التاريخ البشري، أصبح لدينا ناس يعيشون بظل نوع من أنواع الدولة الديمقراطية.

غلاسمان: أعتقد أن عدد الدول الديمقراطية تضاعف ثلاث مرات خلال السنوات الثلاثين الماضية، رغم أن أغلبية البشر لا يعيشون في دول ديمقراطية. فإذا أخذنا الصين كدولة غير ديمقراطية يجب أن نقول أن معظم الناس لا يعيشون في دول ديمقراطية.

دعونا نتحدث حول إلى أين تتجه العولمة. حسناً، لقد عرفنا فترات من التاريخ كانت توجد فيها عولمة ولكنها توقفت بشكل حاد لمدة طويلة نسبياً. لمدة لا تقل عن 40 أو 50 سنة. هل من المحتمل أن نرى نفس الشيء يتكرر. هل العولمة وجدت لتبقى أم أنها ظاهرة دورية؟

إن ما يقلقني بشكل خاص هو أننا في العالم النامي، نتحدث عن الكثيرين من الناس الذين لم ينضموا فعلاً إلى عملية العولمة. هل هناك شيء ممكن أن نقوم به حول هذا الأمر؟

بارفيلد: أعتقد انك إذا نظرت إلى البلدان النامية، عليك أن تنسى ما يقوله السياسيون أو ما سوف يوقعون عليه، أو ما سيوقع عليه رؤساء الدول خلال المحادثات التجارية الجارية في هونغ كونغ. وخذ كمثال دول آسيا الشرقية، أو حتى أميركا اللاتينية، وارجع فقط إلى السؤال الأصلي. ترفض هذه الدول التوقيع على معاهدات تفرض عليها حقوق المستثمرين أو الاستثمارات، مع العلم أنها فتحت حدودها بشكل واسع.

والشيء الآخر الذي يتوجب عليك إبقاؤه في ذهنك أنه، من الناحية التجارية أن مقدار الفتح الطوعي للأسواق (لا تنتبه لكل ما يتعلق بالمفاوضات)، أصبح هائلاً في كل منطقة تقريباً، ربما باستثناء أفريقيا أو الشرق الأوسط. إن ما فعلته الأرجنتين أو ما فعلته إندونيسيا بالنسبة للاستثمار على امتداد السنوات العشرين الماضية يتجاوز ببعيد أي ورقة قد يوقعون عليها، فهو يحصل فعلاً. بكلمات أخرى، إنهم متفقون. انهم يروان أن هذه هي الطريق التي يجب السير عليها ولكنهم يشعرون بحالة عصبية كبيرة لدفعهم أمام منظمة التجارة العالمية، أو أي منظمة دولية أخرى، ليقال لهما أن عليهما السير في هذه الطريق. يريدون البقاء قادرين على فتح أسواقهما أمام الأجانب، أمام جنرال موتورز، أو جنرال ألكتريك ولكنهما لا يرغبون في أن يقول لهم إنسان ما بأن عليهم اتباع نفس القوانين التي تنظم عمل شركتك المستقلة هناك في البرازيل أو في التشيلي، أو في المكسيك.

غلاسمان: ولكنك متفائل بصورة عامة حول العالم النامي كما بالنسبة لباقي العالم؟

بارفيلد: نعم

نعيم: مرة أخرى، إذا أخذت تعريف العولمة وأصبغت عليه صفات التجارة والاستثمار بكثافة، يكون الأمر صحيحاً. فمن الجائز أن ترتفع وتهبط الدورات التجارية، نجد دافعاً نحو سياسة الحماية الاقتصادية.

غلاسمان: على فكرة، هل تعتقد أن هذا هو ما يحدث الآن؟

نعيم: كلا. أعتقد أن التجارة العالمية قوية جداً وحرة. تنمو التجارة الدولية في كل سنة، وهي تنمو بمعدلات تتجاوز معدلات النمو العالمية للناتج المحلي الإجمالي. نعم هناك كافة أنواع العوائق أمام التجارة وعدة أشكال من الإعانات المالية والتشويهات، لكن حركة التجارة تستمر.

خذ تعريفاً أوسع للعولمة لا يشمل فقط التجارة والاستثمار، وقارنه مع العولمة التي حدثت في القرن التاسع عشر. عندما ظهر

التلغراف أحدث ذلك فورة من الاتصالات حول العالم. لكن المؤسسات هي في الغالب التي استخدمت نظام الإرسال عبر التلغراف. ومقارنة بذلك، يجرى الآن استخدام شبكة الإنترنت من قبل المراهقين الذين يتواصلون مع أندادٍ لهم حول العالم يملكون ذهنية مماثلة لذهنيتهم. هناك أنواع متعددة من المجموعات التي تملك ذهنية متماثلة، مجموعات أصحاب المصلحة، الناس الذين يتشاطرون نفس الاهتمامات والشغف والتكنولوجيات والهوايات، فيتواصلون عبر الحدود وينشئون مجتمعات فعلية تقوم بكافة أنواع النشاطات والقدرات ويطورون كافة أنواع الديناميات السياسية الجديدة. انه أمر لا يمكن عكسه حيث أنه من الممكن، كما قال السيد بارفيلد، السيطرة على الإنترنت ولكن توجد حدود لمدى قدرة السيطرة عليها. لذلك فقد أفشي السر. الناس ينظمون صفوفهم. لدينا أكثر من ذلك، لدينا عولمة فردية أكثر مما رأيناه عبر التاريخ. كانت الموجات السابقة للعولمة مؤسساتية، وكانت تجارية، حيث كان أصحاب الأدوار المركزية الشركات التجارية. اما اليوم فقد أصبحت هناك عولمة للأفراد وهذا ما يشكل اختلافاً مهماً جداً. ■

موسى نعيم

"استخدام شبكة الإنترنت من قبل المراهقين الذين يتواصلون مع أنداد لهم حول العالم يملكون ذهنية مماثلة لذهنيتهم. هناك أنواع متعددة من المجموعات التي تملك ذهنية متماثلة، مجموعات أصحاب المصلحة، ناس يتشاطرون نفس الاهتمامات والشغف والتكنولوجيات والهوايات، فيتواصلون عبر الحدود وينشئون مجتمعات فعلية تقوم بكافة أنواع النشاطات والقدرات ويطورون كافة أنواع الديناميات السياسية الجديدة."

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

السعادين القطبية: أول مشاهير النجوم في بريطانيا في عصر الآيبود

في مدينة شفيلد، توفّر أحدث فرقة موسيقية، التي يقل عمر أعضائها عن عشرين سنة، المعروفة باسم السعادين القطبية (اركتيك مونكيز) مثالاً على مراهقين يستخدمون الإنترنت للتواصل مع مراهقين غيرهم حول العالم يملكون ذهنية مماثلة لذهنيتهم. سوية، حقق المغني الرئيسي اليكس تيرنر، وعازف الغيتار اندي نيكولسون، وضارب الطبل مارت هلدرز، وعازف الغيتار جايمي كوك الرقم القياسي البريطاني لأسرع مبيعات لاسطوانة البوم أغاني صادر لأول مرة، حيث حققت تلك الاسطوانة بيع ما يزيد عن 360 ألف نسخة، ألفان خلال الأسبوع الأول من طرحها في الأسواق.

يعود فضل هذا النجاح إلى استعمالهم للإنترنت. بدأت فرقة المونكيز هذه بالتوزيع المجاني لنماذج من أغانيهم مسجلة على أقراص مدمجة خلال 2003–2004. نمت بسرعة قاعدة المعجبين بأغانيهم، عندما تم نقل هذه النماذج إلى الإنترنت لتمكين مراهقين آخرين لهم نفس العقلية من استنساخ هذه الأغاني والاستماع إليها. ما لبث وأن بدأ هواة أغانيهم يقطعون مسافات طويلة للوصول إلى حفلاتهم وفاجأوا الفرقة عندما بدأوا يغنون نفس الكلمات التي كان أعضاء الفرقة يؤدونها.

يصف البعض الآن فرقة المونكيز على أنها أول فرقة نجوم متفوقين في عصر الايبود. يجب الانتظار لمعرفة ما إذا كانت هذه الصفة صحيحة أم لا. لكن نجاح الفرقة يُظهر كيف أن التكنولوجيات الحديثة كالإنترنت، تجمع الناس من ذوي الاهتمامات المماثلة.

سمح هذا الإنجاز أيضاً للفرقة بتوسيع نطاق شهرتها العالمية من خلال إطلاق أول قرص مدمج لأغانيها في أسواق الولايات المتحدة في 21 شباط/ فبراير، 2006.

PHOTOGRAPH BY TABATHA FIREMAN / REDFERNS MUSIC PICTURE LIBRARY

رحلات قميص تي شيرت

بقلم بيترا ريفولي

بدأ كل شيء في اجتماع لمنظمة التجارة العالمية عام 1999، سأل ناشط معارض بيترا ريفولي، الأستاذة المشاركة في فرع تدريس العلوم المالية في كلية ماكدونو لإدارة الأعمال في جامعة جورجتاون: «من صنع قميص التي شيرت الذي ترتدينه؟» في سعيها لإيجاد الجواب، سافرت ريفولي إلى الصين، وتكساس، وتنزانيا حيث لمست بالتجربة المباشرة تعقيدات الاقتصاد العالمي. سردت القصة في كتابها، «رحلات قميص تي شيرت في الاقتصاد العالمي: عالمة اقتصادية تدرس الأسواق، السلطة وسياسة منظمة التجارة العالمية». وفي المقال التالي، تتأمل في تجاربها وتتعجب كيف تملك التجارة القدرة على أن تجذب سوية ناساً متباينين.

عندما قررت أن اتبع حول العالم رحلة قميص التي شيرت الذي ارتديه، كان ما أردت أن أفعله أكثر من أي شيء آخر أن أحكي قصة عظيمة. لم أبدأ بمحاولة إثبات صحة نقطة معينة أو تقديم درس، رغم أن الدروس برزت بالتأكيد من خلال رحلاتي. كان لدي إحساس بان هذا الشيء البسيط كان يملك قصة ساحرة ومعقدة، يود أن يحكيها، قصة قد تحدث صدى لدى كل فرد يرتدي ملابسه صباح كل يوم، وأردت أن أسرد تلك القصة.

وجدت أن الناس في كافة أنحاء العالم يرغبون في التمكّن من شرح أمور إلى أساتذتهم. لا بد وأن تولّد هذه الرغبة نوعاً من الإثارة المنحرفة. إن كنت في مزرعة قطن في تكساس أو في متجر صغير في الهواء الطلق في أفريقيا يبيع قمصان تي شيرت، كان الناس يريدونني أن أفهم موقعهم في الاقتصاد العالمي، أرادوا أن يشرحوا لي كيف يعمل عالمهم المصغر في مجال العولمة، أرادوا أن أفهم مدى التعقيد، مدى الصعوبة، ولكن أيضاً مدى الإثارة في مواجهتهم للتحديات كل يوم.

خلال رحلاتي حول العالم لأجري مقابلات للكتاب، سمعت الكثير من وجهات النظر والآراء المتضاربة حول الإعانات المالية المقدمة لمزارعي القطن وحول السياسة التجارية، حول الصين وحول فقد الوظائف، لكني لم أقابل أي أشرار. لا يوجد أناس سيئون في قصة حياة قميص التي شيرت خاصتي. كان الجميع، كل مؤسسة أعمال، كل صاحب مشروع تجاري، كل رجل سياسي من بين المشاركين في حياة قميص التي شيرت يحاولون شق طريقهم في سوق تنافسية، سوق كثيراً ما تتغير تحت أقدامهم.

ألّفت هذا الكتاب خلال أوقات صاخبة ومأساوية في أحيان كثيرة، عبر أحداث 11/9 وحربي أفغانستان والعراق، عبر قنابل الإرهابيين في أوروبا، وعبر انتخابات عامة شاهدت خلافات مريرة في أميركا. ولكن خلال رحلاتي، من مزرعة قطن في تكساس إلى مصنع صيني، من بيروقراطيين في واشنطن إلى بائع ملابس مستعملة من الجيل الثالث ينتمي إلى عائلة يهودية مهاجرة، إلى مستوردين مسلمين في أفريقيا الشرقية، بقيت أتعجب كيف يستطيع كل فرد من حسن تدبير أموره الحياتية. فبينما كانت القنابل تتساقط، ظل هؤلاء المسلمون، اليهود، السود، والبيض أصدقاء بسبب قميص التي شيرت خاصتي. لقد ربطهم سوية الغزل، والقماش، واللباس، لقد ربطتهم سوية التجارة العالمية. لم يكن لديهم خيار غير الاستمرار في التحدث مع بعضهم البعض. يتدبر صغار التجار شؤونهم بطريقة حسنة، بينما الكبار كانوا يتفاءلون فيما بينهم. مهما كانت المناقشات حول التجارة، فقد اصبح من الواضح لي بعد قيامي بهذه الرحلات ان التجارة هي بكل وضوح أداة للسلام والتفاهم. اشعر باني محظوظة لان كل فرد كتبت عنه أصبح الآن صديقي وآمل أن يحب القراء كل أصحاب الأدوار في قصة حياة قميص التي شيرت خاصتي بقدر ما أحبهم.

لقد درّست في كلية إدارة الأعمال لفترة طويلة، وهكذا، أعرف كم من السهل إثارة ضجر الناس بالتحدث عن العجز

التجاري، أو المنافسة، أو البطالة. ولكن كل فرد يحب الاستماع إلى قصة جيدة. يتجنب بعض مدرّسي موضوع إدارة الأعمال سرد القصص خلال تعليمهم أو في أبحاثهم بسبب قلقهم من أن تنتقص هذه القصص من مصداقيتهم أو أهميتهم الفكرية. ولكن طالما نقوم بأفضل ما نستطيع في حكاية القصة بكاملها، وليس مجرد نوادر مختارة لإثبات رأينا، فإن القصص يمكنها تحقيق الكثير في مساعدتنا لفهم التعقيدات التجارية والأعمال الدولية. آمل بان تكون قصة قميص التي شيرت خاصتي قد حققت ذلك.

وبصفتي مؤلفة كتاب للمرة الأولى، واجهت لحظات مثيرة برزت خلالها بضع حالات من «قرص نفسي للتأكد من حقيقة ما يحدث» منذ صدور الكتاب. كانت الحالة الأولى عندما علمت أن مجلة «تايم» سوف تراجع الكتاب، وحدثت الحالة الثانية عندما التقطت سماعة الهاتف لأجد مراسل الأخبار التجارية الدولية في محطة الإذاعة، بابليك ناشيونال راديو، أدم دافيدسون، على الخط. أخبرني أنه أحب الكتاب ويريد إجراء سلسلة من المقابلات حوله تذاع من محطة الإذاعة العامة ناشيونال بابليك راديو. ثم منحني ارفع إطراء لأستاذ جامعي عندما قال ان الكتاب غيّر الطريقة التي كان يفكر فيها حول العولمة وحتى لكيفية إعدادِ التقارير المتعلقة بالتجارة الدولية في المستقبل.

أذيعت سلسلة المقابلات من محطة الإذاعة المذكورة بصورة متتابعة على امتداد شهر أو قريباً من ذلك، كنّا، آدم وأنا، نكرر زيارة العديد من الأماكن التي كتبت عنها: مزارع القطن في تكساس والمصانع الصينية. في المقابلات الإذاعية لم يكن لدينا أكثر من 24 دقيقة لنلخص محتوى كتاب استغرق إعداده 5 سنوات والتحدث عن رحلات غطت الآلاف من الأميال، مجرد 24 دقيقة لسرد سيرة حياة هذا الشيء البسيط والكثير التعقيد. وبينما كنت استمع إلى الأصوات الخلفية التي سجلها لترافق إذاعة هذه المقابلات: ضجيج الجرارات، أصوات آلات الخياطة، أصوات محالج القطن والسكوت المخيف لمصنع قمصان تي شيرت مغلق بالأقفال الخارجية في ولاية الأباما، أدركت بأني لم أفكر أبداً بالأصوات التي تولدها العولمة. فإذا أغلقت عينيك وأصغيت فيمكنك أن تسمع كل هذه الأشياء تشتغل. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

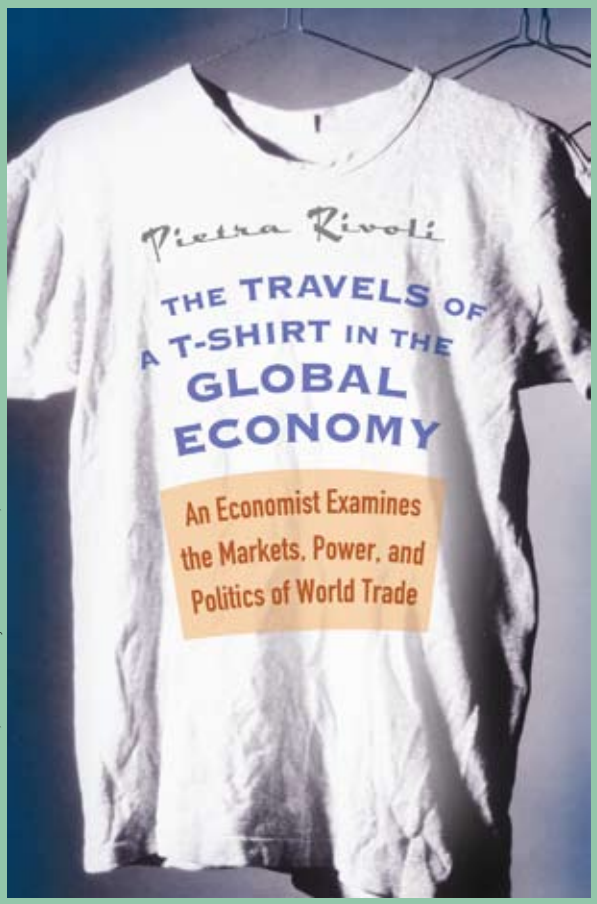

© DOUGLAS WHYTE/CORBIS, COURTESY OF JOHN WILEY & SONS, INC.

السياسة الاقتصادية التحويلية الأميركية

الربط بين التجارة، والنمو، والتنمية الاقتصادية

بقلم جوزيت شيران شاينر
وكيلة وزارة الخارجية للشؤون الاقتصادية، والتجارية، والزراعية

جوزيت شيران شاينر، وكيلة وزارة الخارجية الأميركية للشؤون الاقتصادية، والتجارية، والزراعية، تناقش العلاقة بين التجارة والنمو الاقتصادي.

لماذا تنعم بعض البلدان بنمو اقتصادي قوي بينما لا تنعم بذلك بلدان أخرى؟ بين عام 1975 وعام 2003 حقق أكثر من نصف عدد البلدان في العالم معدلات نمو سنوي للناتج المحلي الإجمالي للفرد تقل عن 1٪ (واحد بالمئة). وبالفعل ازداد فقراً ثلث العدد الإجمالي لجميع البلدان. وكان من المحتمل أن يكون هذا العدد حتى أكبر من ذلك، إذا كان للمرء أن يشمل فيه المعطيات من أكثر من 35 بلداً إضافياً مؤسساتها لا تملك حتى القدرة على جمع إحصائيات يُعتمد عليها.

وبصورة متزايدة، يسعى علماء الاقتصاد واختصاصيو التنمية لإيجاد ما يربط هذا الأمر بالتجارة. فإذا نظر المرء إلى العالم نظرة واسعة عبر القرن الماضي، يصعب عليه العثور على دليل ثابت يؤكد فوائد سياسة الحماية التجارية للمنتجات القومية. رغم ذلك، هناك أمثلة كثيرة على سوء تصميم سياسات حماية المنتجات القومية: السياسة الانعزالية التي اتبعتها الولايات المتحدة أثر انهيار سوق الأسهم عام 1929 سارعت في زيادة الركود الاقتصادي العظيم؛ ومشاريع بدائل الاستيراد التي نفذتها بلدان نامية خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي لم تُشجع النمو الاقتصادي؛ والشيوعية أعاقت نمو الإنتاجية، والابتكار، والحرية الاقتصادية. فسياسة الحماية التجارية لا تؤمّن أي فوائد مستديمة.

من جهة أخرى، فإن تحرير التجارة يؤمّن مساهمة ذات شأن في النمو الاقتصادي، وفي تخفيض مستوى الفقر، وتأمين الاستقرار حول العالم. تؤكد الدراسات الاقتصادية أن الدول التي تملك اقتصادات أكثر انفتاحاً تشارك أكثر في التجارة الدولية المتزايدة، وتحقق معدلات نمو أعلى من الاقتصادات الأكثر انغلاقاً. فمن بين البلدان النامية، حققت تلك البلدان التي تتعاطى بقدر أعظم في التجارة الدولية معدلات نمو أكبر بثلاثة أضعاف مما حققته بلدان شاركت بقدر أقل في التجارة الدولية خلال التسعينات من القرن الماضي.

تعتبر الصين والهند النموذجين الأكثر وضوحاً لقوة تحرير التجارة. فقبل ثلاثين عاماً، كان البلدان يعانيان من فقر واسع الانتشار. ولا زالا يملكان بشكل أساسي نفس الموارد الطبيعية الأساسية التي كانت لديهما في تلك الفترة. كما ظلت أنظمتهما السياسية بدون تغيير نسبياً على مر السنين. ولكن يتمتع اليوم البلدان بمعدلات نمو اقتصادي من بين أعلى المعدلات في العالم. فماذا تغير؟ فتحا أسواقهما أمام العالم، ساهما في تحقيق أعظم

RAJESH NIRGUDE ©AP/WWP

وسيط أسهم هندي يعمل في سوق بومباي لتبادل الأسهم حيث ارتفع مؤشره إلى أعلى نقطة في تاريخه في 14 شباط/فبراير، 2005 . (راجش نيرغود، آسوشييتد بريس)

وأسرع هبوط في مستوى الفقر في التاريخ العالمي. أكدت المنظمة غير الحكومية اوكسفام في تقاريرها انه لو زاد كل بلد من بلدان أفريقيا وشرق وجنوب آسيا، وأميركا اللاتينية حصصها من إجمالي الصادرات العالمية بنسبة واحد بالمئة فقط لأدّت مكاسب الدخل القومي الناتجة عن ذلك إلى انتشال 128 مليون إنسان من حالة الفقر.

الولايات المتحدة تقود جهود تعزيز الفرص الاقتصادية المماثلة حول العالم من خلال دفع مقاربات جديدة ومبتكرة في السياسة الاقتصادية التي تربط ما بين التجارة، والمساعدات والتنمية.

شددت وزيرة الخارجية، كوندوليزا رايس، على قوة التجارة والنمو في تحويل المجتمعات: «قد لا تملك الولايات المتحدة أداة، عندما نفكر بكيفية نشر الديموقراطية المستقرة والحرية، أكثر أهمية من استعمال دبلوماسيتنا الاقتصادية، وفوائد التجارة الحرة، وفوائد مساعدات التنمية...».

خفض الحواجز التجارية

عبر المفاوضات المتعلقة بالتجارة الدولية في نطاق منظمة التجارة الدولية ندعم مقترحات جريئة لإلغاء الرسوم الجمركية، والحصص المفروضة على المستوردات، والإعانات المالية للإنتاج التي تشوه التجارة، كما نتحدى غيرنا للقيام بمثل ذلك. من الممكن إرجاع سبب الكثير من قوة الاقتصاد الأميركي إلى خفض الولايات المتحدة وحلفائها التجاريين الرئيسيين للحواجز التجارية. بالنسبة للسلع، هبط متوسط معدلات الرسوم الجمركية، التي سادت خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، من 40 بالمئة إلى اقل من 4 بالمئة اليوم في ما بين بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD). تشجع الرسوم الجمركية الأدنى المنافسة، والابتكار، والتخصيص الفعال للموارد، وتبادل الأفكار والتكنولوجيا، والاستثمار الأجنبي. كما تخفض الرسوم الجمركية الأدنى من تكاليف الإنتاج للصناعات وتساعدها في التنافس على المستوى العالمي. تتوفر فرصة فريدة أمام البلدان النامية لحصد مكاسب التجارة الأكثر تحرراً لكن معدلات الرسوم الجمركية في تلك البلدان أعلى بنسبة هامة من تلك السائدة في العالم المتطور، و70 بالمئة من هذه الرسوم في البلدان النامية تُفرض على سلع مستوردة من بلدان نامية أخرى.

هناك إدراك واسع لكون إصلاح التجارة الزراعية خطوة ذات شأن في مسعى توسيع التنمية الاقتصادية، وكون فتح منافذ الوصول إلى الأسواق الزراعية من خلال المفاوضات الجارية في منظمة التجارة العالمية يمكّن من إنقاذ الملايين من الناس من حالة الفقر. استناداً إلى البنك الدولي فقد تُشكّل زيادة إمكانية الوصول إلى الأسواق مقدار 93 بالمئة من الفوائد الممكن تخفيفها من خلال إصلاحات التجارة الزراعية العالمية. أما بالنسبة للبلدان النامية، فقد تتحقق كافة هذه الفوائد تقريباً من خفض رسومها الجمركية على مستورداتها.

لكن، ومن جهة أخرى، التجارة بمفردها لا تقود بصورة آلية إلى تحقيق النمو، وتوفير فرص العمل، وتخفيض مستوى الفقر. فإذا أرادت البلدان أن تستغل فوائد تحرير التجارة أكثر وتعزيز النمو الاقتصادي عليها أيضاً ان تُنشئ سياسات قومية سليمة أخرى: الحكم الصالح، حكم القانون، المؤسسات القوية، والسياسات النقدية والاقتصادية السليمة، والتزام الاستثمار في الإنسان. قد تكون هذه الأنواع من السياسات السليمة صعبة استدامتها حتى في افضل البيئات. إلا أن هناك بلدان نامية عديدة تشلّها سياساتها التي تكبت روح المبادرة الاقتصادية. المعدل الوسطي في بلدان أفريقيا جنوب الصحراء، لتأسيس شركة تجارية يستغرق أكثر من 63 يوماً كما يستهلك تسجيل الشركة أكثر من 200 بالمئة من الدخل الفردي السنوي. في حين انه في استراليا لا يستغرق هذا العمل أكثر من يومين ويستهلك نسبة 1,9 ٪ من الدخل الفردي السنوي. ومع اتخاذ بلدان خطوات تنمية اقتصادات مستدامة، أصبح المستثمرون يشعرون بثقة اكبر في التجارة مع، والاستثمار في، هذه الأسواق. تساعد بيئة صديقة للأعمال في جذب استثمارات مباشرة أجنبية أكثر، وتساهم في خلق فرص علم أكثر، وتحقق إيرادات ونمو اقتصادي أكبر.

حساب تحدي الألفية

إدراكاً منه لهذا التحدي، اقترح الرئيس بوش برنامجاً مبتكراً وجديداً لمساعدات التنمية أطلق عليه اسم حساب تحدي الألفية (MCA). تستند مؤسسة تحدي الألفية (MCC) التي تدير حساب تحدي الألفية إلى الدروس التي جرى تعلمها حول التنمية على مدى الخمسين سنة الماضية، والتي تربط السياسات الاقتصادية السليمة مع نشوء فرص جديدة للتجارة والاستثمار. تعمل مؤسسة تحدي الألفية بصورة أولية بمثابة برنامج للمساعدات ولكنها تساعد أيضاً في نشوء بيئة تدعم فوائد التجارة الأكثر تحرراً.

اتخذت الولايات المتحدة موقع الريادة من خلال برامج تربط بين مبادرة بناء القدرة التجارية (TCB) والمبادرات التجارية الأخرى التي جعلت من مبادرة بناء القدرة التجارية جزءاً متكاملاً من برنامج عملنا التجاري على المستويات العالمية، والإقليمية، والفدرالية كما وفرت للبلدان النامية الأدوات التي تحتاج إليها للاستفادة من التجارة المفتوحة. وبالفعل، أنشأ مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة مكتبا خاصاً للاهتمام بمسائل بناء القدرة التجارية. جعلت هذه الجهود الولايات المتحدة اكبر بلد منفرد مانح للمساعدات المتعلقة ببناء القدرة التجارية وقدمت لهذه المبادرة ما يزيد عن 1,3 مليار دولار في العام 2005، وتعهدت بمضاعفة هذا المبلغ إلى 2,7 مليار دولار سنوياً بحلول العام 2010.

واليوم، بدأت توفر المقاربة المبتكرة الأميركية في الربط بين التجارة، والمساعدات، والتنمية نتائج حقيقية. شكّل اتفاق التجارة الحرة (FTA) بين الولايات المتحدة وبلدان أميركا الوسطى المرّة الأولى التي تكوّن مبادرة بناء القدرة التجارية جزءاً متكاملاً من مفاوضات اتفاق التجارة الحرة. ففي مثال يحتذى به، ساعدت الولايات المتحدة مزارعين في السلفادور على الانتشار إلى أسواق جديدة من خلال تحسين تقنيات التسويق لديهم، ومعايير الأغذية، والإنتاجية، وخدمات دعم العمل التجاري لمحاصيلهم. فازداد متوسط دخلهم إلى اكثر من الضعف. وقد استُخدم هذا النموذج من العمل منذ ذلك الوقت في مفاوضات اتفاقات التجارة الحرة الموقعة مع دول جبال الانديز، والدول الأعضاء في الاتحاد الجمركي لأفريقيا الجنوبية، وتايلند، وغيرها.

وتدفع مؤسسة تحدي الألفية أيضاً هذا السجل قدماً. فمنذ تأسيسها العام 2004، أنشأت برامج مساعدات، يتجاوز مجموعها 900 مليون دولار، مع خمسة بلدان هي: مدغشقر، وهندوراس، وكابو فردي، ونيكاراغوا وجورجيا. بعد انقضاء أكثر من سنتين بقليل على الإعلان عن مؤشرات تحدي الألفية، في شباط/فبراير 2003، هبط متوسط عدد الأيام الذي يستغرقه تأسيس شركة تجارية من 61 إلى 46 يوماً في البلدان المرشحة للاستفادة من حساب تحدي الألفية. استناداً إلى مسؤولين في البنك الدولي، تبنت باراغوي في العام 2004، بظل تأثير حافز حساب تحدي الألفية، إصلاحات مهمة في السياسة التجارية أدت إلى تحسين سجلها العائد لمؤشر حساب تحدي الألفية المتعلق بـ «عدد الأيام لتأسيس شركة تجارية» وحفّزت، في ذات الوقت، زيادة بلغت نسبة 20 بالمئة تقريباً في عدد الشركات الجديدة المسجلة بالمقارنة مع العدد المعتاد.

إن تحرير التجارة هو مكوّن رئيسي وضروري لتحقيق برنامج نمو اقتصادي ناجح. والولايات المتحدة ملتزمة مساعدة البلدان على الازدهار اقتصادياً وتخفيض المستوى العالمي للفقر. ونحن نعمل في المقدمة، بجدّ وبكل جد، مع المجتمع الدولي كما مع بلدان افرادية لزيادة هذه الفرص. إن سفاراتنا وقنصلياتنا المئة والخمس والثلاثين المنتشرة حول العالم منخرطة بشكل نشاط في تعزيز هذه السياسة. يدرك الآن الكثير من البلدان النامية أهمية الرباط الحيوي بين تحرير التجارة والنمو الاقتصادي. ومن المهم أكثر فأكثر الآن ان نضع برامج على الطريق تدعم هذا الجهد. فبالعمل معاً، اننا واثقون، من استطاعتنا رفع الازدهار الاقتصادي العالمي بينما نسير قُدماً في القرن الواحد والعشرين. ■

مكان العمل المتغير

مقابلة مع دانيال بينك

كتب المستشار التجاري، المحاضر الجامعي والمؤلف، دانيال بينك حول موضوع الاقتصاد العالمي وتأثيراته على الناس عبر العالم في كتابين لقيا إطراءً جيداً، هما «عقلية جـديدة بالكامل» (A Whole New Mind) و «دولة الوكيل الحرّ» (Free Agent Nation). نشرت مقالاته عن الناس الذين اختاروا الانسحاب من عالم الشركات المساهمة للعمل لحسابهم الخاص، ولتقديم عملهم من خارج نطاق الشركات، والبحث عن معنى الحياة من خلال العمل، في صحيفة نيويورك تايمز، ومجلة هارفرد للأعمال، ومجلة فاست كومباني. وهو مُحرر مساهم في مجلة «وايرد» (Wired). يكتب أيضاً عاموداً في مجلة «ياهو فاينانس» (Yahoo Finance). أجرى الكاتب بول مالامود، من هيئة العاملين في وزارة الخارجية الأميركية هذه المقابلة معه.

سؤال: ما هي العولمة، حسب رأيك؟

بينك: العولمة هي الحركة الواسعة في ما بين الاقتصادات، والمجتمعات، والتكنولوجيا التي تشبك العالم سوية وتجعله أكثر قرباً، وتؤثر في أسواق الرساميل، والتكنولوجيا، ومبادلة المعلومات.

> **"العولمة جيدة، لكنها ليست مثالية. ولا يجدر بنا أن ندع المثالي أن يكون عدواً للجيد"**

سؤال: ما الذي يجعل هذا الأمر يحدث؟

بينك: اعتقد أنه العديد من الأشياء. وأحدها بالتأكيد هو ظهور تكنولوجيا جديدة كالإنترنت التي تتيح لطفل في زامبيا إيجاد معلومات بنفس السرعة تقريبا التي يحصل فيها رئيس أمناء مكتبة جامعة كيمبريدج عليها. فهي تتيح للناس البقاء على اتصال مع بلدانهم الأصلية بسهولة اكبر. وتسمح بانتقال الرساميل عبر العالم إلى المكان التي يمكن استخدامها فيه بأكبر قدر من الفائدة. تضفي قدراً من الشفافية على الحكومات والمؤسسات السياسية أكبر من أي قدر سابق. إنها تفتت حواجز التجارة. عندما أفكر بالعولمة، أفكر بأنها تعني أساساً التدفقات: تدفقات أفكار، تدفقات الرساميل، تدفقات السلع والخدمات، تدفق البشر، وكل هذه أصبحت أكثر سهولة وتم تسريعها نتيجة العولمة.

سؤال: هل نحن في وضع افضل أو أسوأ من ما كنا فيه نتيجة العولمة؟

بينك: أصبحنا في وضع افضل. حسب رأيي، العولمة جيدة، ولكنها ليست كاملة. ولا يمكننا ان نجعل من الكمال عدواً لما هو جيد. بوجه عام، رفعت العولمة المستويات المعيشية عبر العالم. لكن من الواضح ان بعض التشوهات ظهرت بسببها. فإذا كنت عاملاً أميركياً ويجري نقل عملك الصناعي إلى بلد من بلدان العالم النامي، حيث سوف يُدفع إلى عامل خمس ما كنت تكسبه، تكون العولمة قد أضرت بك بشكل ما.

في نفس الوقت، سوف يستفيد ذلك العامل الصناعي وأفراد عائلته من انخفاض كلفة السلع والخدمات بسبب انخفاض الحواجز التجارية. من الواضح انهم سيستفيدون من كل هذه التكنولوجيا التي تساعد في تمكين قيام العولمة. وعليه، فان رأيي هو ان العولمة هي في أكثرها إيجابية. ويتمثل التحدي للسياسة العامة والتحدي للقيادة السياسية، على المستوى القومي وعبر حدود القوميات، بضمان حصول الناس على فوائد العولمة، وبالنسبة للجانب السيئ منها، على الحكومات والمؤسسات السياسية ان تتدخل لتخفيف حدة تأثيراتها السلبية.

سؤال: هل هناك إحصائيات تؤكد ان العولمة ترفع مستوى الجميع؟

بينك: يعتمد ذلك على مستوى المعيشة. بالتأكيد تضاعف الناتج المحلي الإجمالي للفرد في الولايات المتحدة ثلاث مرات خلال الخمسين سنة الماضية. وأنا متأكد من ان مستويات المعيشة تحسنت أيضاً في الكثير من باقي أنحاء العالم. وبعد قول ذلك، يبقى لدينا أكثر من مليار شخص على هذا الكوكب يعيشون بدخل يقل عن دولار واحد في اليوم. ولذلك لا تعني العولمة في المدى طويل ان كل فرد سوف يعيش في ارض المن والسلوى، ولكن، بوجه عام، جعلت العولمة الأمور افضل وليس أسوأ وما كانت عليه، وبوجه عام، اصبح الحاضر افضل من الماضي. وبوجه عام، إني متأكد تقريباً، ليس لاني شخص متفائل يرى بعيون حالمة، بل لاني واقعي، ان المستقبل سوف يكون افضل من الحاضر.

سؤال: في كتابك «عقلية جديدة بالكامل» تكهنت بخروج عدد أكبر من الوظائف المكتبية من البلدان المتطورة إلى بلدان نامية، وتقول انه سوف يتم التعويض عن هذه الخسارة بخلق عدد اكبر من الوظائف الخلاقة في الولايات المتحدة وفي غيرها من البلدان المتطورة. لكن يفترض ذلك ان لمعظم الناس قدرة على الإبداع بدرجة عالية. وإذا افترضنا ان معظمنا ليسوا كذلك؟.

> "أجل البقاء في الاقتصاد، عليك أن تقوم بأشياء غير روتينية"

بينك: لا أوافق على فرضية ان معظم الناس لا يملكون هذه الأنواع من القدرات ورأيي هو ان الاقتصادات تصبح مؤتمتة اكثر وتنقل إلى خارج حدودها العمل الروتيني لموظفي المكاتب، كأعمال المحاسبة الأساسية، والتحليل المالي الأساسي، وحتى الخدمات القانونية الأساسية، وهذا هو نفس النمط الذي رأيناه في العمل الروتيني للمصانع. اليوم، أي شيء روتيني، أي شيء يمكن اختصاره في نص مكتوب، في صفحة مواصفات، في مجموعة من الأنظمة، هذا النوع من العمل سوف يختفي بدرجة متزايدة من الولايات المتحدة، وكندا، وأوروبا الغربية، واليابان لان أداء هذا النوع من العمل قلّت كلفته بسبب أنظمة الكمبيوتر وإنجازه على أيدي أناس من الخارج.

والآن، ان ما يعني ذلك من أجل استمرار البقاء في الاقتصاد، عليك ان تفعل شيئاً لا يكون روتينياً. بل أن عملاً فنياً مبدعاً، جازماً، ويدور حول الصورة الأكبر. واعتقد أن الفكرة القائلة بأن أفراد

الدكتور ارجون كاليانوير في بنغالور، الهند يناقش صورة فحص الكتروني مع طبيب أميركي في ولاية كوناتيكت، مبيناً في ذلك التطورات الأخيرة لاستخدام التكنولوجيا في الطب. (غوتام سنغ/ آسوشييتد بريس)

الجنس البشري بوجه عام، والأميركيون بوجه خاص، لن يتمكنوا من ان يكونوا مبدعين، وجازمين، ومتوجهين نحو الصورة الكبيرة هي فكرة خاطئة تماماً.

فعلى سبيل المثال، خذ في اعتبارك الزمن التي كانت فيه أميركا تنتقل من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد صناعي، وكان الناس يقولون، «حسناً، لا يمكن لكل الناس الالتحاق بمدرسة ثانوية. ولا يمكن لكل الناس تعلم القراءة والكتابة. فالتعليم الجيد يبقى مخصصاً فقط لنخبة معينة من الشعب». ان ما أتحدث عنه هنا ليس أن يصبح كل شخص سلفادور دالي، بل ان يصحب كل شخص بارعاً في مثل أنواع القدرات العالية المفاهيم، العالية اللمسات. واعتقد أن يمكن إنجازه بدرجة عالية.

لن يقول أحد: «لا تستطيع الجماهير ان تصبح متعلمة». فلا يستطيع كل إنسان ان يصبح طوني موريسون؛ لكن بإمكان كل

إنسان ان يصبح متعلماً. «لا تستطيع الجماهير ان تصبح ضليعة بالرياضيات». حسناً، اني لا أوافق على ذلك. لا أعتقد ان كل شخص يمكن ان يصحب البرت اينشتاين ولكنهم يستطيعون ان يصبحوا ضليعين في الرياضيات ويمكنهم الذهاب إلى ابعد من ذلك.

سؤال: ماذا سيحدث للناس في الدول المتطورة عندما يصبح الناس في البلدان النامية من العالم متعلمين جيداً بدرجة تماثلهم فيتمكنون من تحقيق إبداعهم الخاص؟

بينك: أعتقد أن هذه هي نقطة ممتازة. يتطرق توم فريدمان إلى هذه المسألة في كتاباته. هناك مدرستان فكريتان مختلفتان. إحداهما تقول ان الصين والهند تتسابقان معنا في الوصول إلى الأسوأ والأخرى تقول انهما تتسابقان معنا في الوصول إلى الأفضل. يعتقد فريدمان، وأنا أوافقه الرأي، بأنهما تتسابقان معنا للوصول إلى الأفضل. ومرة أخرى، لا اقول ذلك لكوني شخصا متفائلا بل لان هذا ما كان عليه النمط دائماً، لان ذلك كان المسار دوماً. الآن، لا أعني ان هو هذا المسار سوف يكون هو المؤكد 100 بالمئة، ولكن هذا ما أراهن عليه.

وهكذا أوافق على أن الأميركيين لا يملكون على الإطلاق أي احتكار على هذه الأنواع من القدرات الخلاقة، وان ما علينا نحن الأميركيين ان نفعله هو التخلص من الرضا عن النفس والعمل لنصبح افضل بكثير في هذه القدرات، لان هذين البلدين يتسابقان معنا في الوصول إلى القمة، كما يقول توم فريدمان.

سؤال: طبيعة العمل تتغير بطرق أخرى. أصبحت أجهزة الكمبيوتر أكثر تعقيداً وقدرة. ما هو أقرب وقت تتوقع عنده أن تنافس الكمبيوتر الإنسان في العمل على المستوى المهني؟

بينك: أعتقد أن أجهزة الكمبيوتر تؤدي، من بعض الطرق، أنواعاً معينة من الأعمال المهنية. أنظر إلى «تيربو تاكس» (برمجة كمبيوتر تساعد الناس في إعداد إقرارتهم الضريبية). لدينا كل هذا القلق حول تحويل العمل إلى خارج حدودنا وإجرائه من قبل مصادر خارجية. فقد تم إعداد 3 ملايين إقرار ضريبي في الهند من قبل هنود متخصصين في إعداد هذه الإقرارات، ولكن تم إعداد 21 مليون إقراري ضريبي آخر بواسطة البرنامج تيربو تاكس. وهكذا بطريقة ما تستطيع برامج الكمبيوتر تأدية عناصر معينة من العمل المهني وسوف تقوم بصورة متزايدة بتأدية أكثر وأكثر من الأعمال.

وما يعني ذلك هو ان المحاسبين الذين يريدون الاستمرار في ممارسة عملهم لا يستطيعون تأمين معيشتهم من خلال تأدية نفس نوع العمل الذي تستطيع فعله قطعة من برنامج كمبيوتر كلفتها 39,95 دولار. عليهم القيام بالأشياء التي يصعب اكثر تصغيرها إلى رموز كمبيوتر، التي تُشكّل نوعاً متطوراً من تقديم المشورة، أي فهم الاحتياجات المالية للناس وتقديم إرشادات مالية من مستوى أعلى.

PAT VASQUEZ-CUNNINGHAM–AP/WWP

يقوم جيرمي فانرايت بإدخال روبوت «سام»، أي وحدة الدخول إلى المجاري الصحية، عبر مجرى في البوكيركي بولاية نيومكسيكو من خلال أنظمة تحكم تفاعلية للكمبيوتر، بينما يشاهد صورة فيديو في الوقت الحقيقي من داخل خط المجري. (بات فاسكيز / آسوشييتد بريس)

وهذا الأمر ينسحب، إلى مدى معين، على وسطاء الأوراق المالية والاستثمارات أيضاً. ففي أيامنا الحاضرة يُجري العديد من الأميركيين الاستثمارات من طريق الإنترنت مباشرة. وتتوفر المعلومات بشكل واسع، ومعاملات تبادل الأسهم والسندات عبر الإنترنت قليلة الكلفة نظراً للتمكن من إجرائها على الكمبيوتر لديك، وانتفت الحاجة بعد الآن للاتصال بالهاتف بوسيط أوراق مالية لأجراء معاملات روتينية.

عند نقطة معينة سوف يحاول وسيط الأوراق المالية ان يصبح مستشاراً مالياً لفهم وضعك بطريقة أكثر تفصيلاً وليقدم لك مختلف الإرشادات التي لا يستطيع برنامج كمبيوتر ان يقدمها مطلقاً.

سؤال: ماذا بشأن الروبوتات وكيف تتوقع منها أن تؤثر على العمل المتوفر؟

بينك: إذا ذهبت اليوم إلى قاعة مصنع، سوف لن ترى قاعة التصنيع التي كانت رائجة في العشرينات أو حتى في الخمسينات من القرن الماضي، حيث كانت تعمل مجموعات من أعمال مرتدين بدلات الورش متسخة بالشحوم يديرون مفاتيح الربط على خط التجميع. فسوف تشاهد أشخاصاً يحملون أحياناً كثيرة شهادات انتساب جامعية يشغّلون بالأساس هذه الروبوتات. لا تملك هذه الروبوتات استقلالاً ذاتياً إدارياً أو إرادة خاصة بها. تستجيب هذه الروبوتات إلى رموز برامج ولذلك يتوجب على أحد الأشخاص كتابة الرموز وعلى شخص آخر رصد عمل هذه الروبوتات. وهذا ما يُشكّل بصورة متزايدة الكثير من الأعمال في التصنيع. إنه يدعو بوضوح إلى إنشاء مستوى أعلى من المهارة.

سؤال: هل يملك معظم العمال في العالم الذكاء، حاصل الذكاء، للتكيف مع كل ذلك؟

بينك: دعني أعارض فرضية هذا السؤال، بأن حاصل الذكاء هو المقياس لجدارة الفرد. فحاصل الذكاء هو نوع خاص من التفكير المنطقي ولكنه بالكاد يُشكّل النوع الوحيد من التفكير المنطقي، وهناك إثباتات تؤكد ان العلاقة المتبادلة بين حاصل الذكاء والنجاح المهني تساوي صفراً، بالأساس. ان الترابط المتبادل مع حاصل الذكاء هو المهنة التي تدخلها. وكذلك، فقد ارتفع حاصل الذكاء المقاس باختبارات معيارية مع مرور الزمن أيضاً، أي ازداد متوسط حاصل الذكاء. يُشكّل حاصل الذكاء جزءاً من الفطنة التي يملكها الفرد، ولكنه ناحية صغيرة فقط من هذه الفطنة؛ فانظر إلى بحث دان غولمان حول الذكاء العاطفي، وانظر إلى بحث هوارد غاردنر في جامعة هارفرد ونظريته حول أشكال الذكاء المتعددة. أنا لا أثق كثيراً في اعتبار حاصل الذكاء مقياساً لقدرة الإنسان.

SARA D. DAVIS ©AP/WWP

تتحدث طالبتان عُمانيتان مشاركتان في البرنامج الأميركي للتدريب الداخلي لإدارة الأعمال في جامعة ديوك مع سالي مورتون (ظهرها إلى الكاميرا)، نائبة الرئيس للشؤون الدولية في دائرة الإحصائيات وعلوم الأوبئة في معهد ريسيرتش ترايانغل للأبحاث، في دورهام، بولاية نورث كارولينا في كانون الأول/ديسمبر، 2005. (ساره ديفيز / آسوشييتد بريس)

سؤال: تشعر أن كرامة الإنسان مهددة بفعل بعض المنتجات الجانبية للعولمة؟ يؤكد البعض ان روابط العائلة، والعشيرة، والجماعية وهرمية السلطة بدأت تتراخى، بل وحتى كرامة الإنجاز الفردي المستند إلى تطوير المهارات الفردية تعني اقل بسبب التغيرات المتكررة في الأدوار في الاقتصاد المعولم؟

بينك: هذا سؤال وجيه. إذا كنت تعتبر العالم الغربي بمثابة بشير للمستقبل، فترى ان الصلات العائلية هنا أكثر تشتتاً من ما هي عليه في أجزاء أخرى من العالم. لديك هنا حركية اعظم بكثير؛ فلا يعيش الناس بالضرورة حيث يعيش أهاليهم أو حيث يعيش أشقاؤهم وشقيقاتهم. هناك مجموعة متعددة من الأنماط المختلفة للعائلة الآن تطرح التساؤل حول الأسرة النواة. النقطة حول هوية الإنسان التي تتشكل من عمر كامل من المهارات تبقى مثيرة للاهتمام. لكن أعتقد أن هناك تغييرا في ذلك، لان نصف حياة كل نوع من القدرات اليوم أصبح يتقلص ويستمر في التقلص. لا تستطيع تأمين معيشتك من خلال ممارسة مهنة واحدة على مدى 40 عاماً، لان الأمور لم تعد تسير بهذا الشكل. فمدة الحياة لأي مجموعة معينة من المهارات أصبحت بالواقع حوالي سنتين. لذلك من الواضح الآن ان التعلّم كما تعلّم كيفية التعلّم والتحسين المتواصل لمستوى التعلم توفر علاوة للناس.

والآن لا أدري ما إذا كان ذلك يفتت الكرامة الإنسانية. يستطيع المرء ان يناقش بأن ذلك قد يعززها، إذ يُتيح للناس مواصلة العمل للأحسن، عدم السقوط في الركود، الحصول على فرصة أكبر للازدهار. لكن، من الواضح، ان القصص الفردية تختلف فيبقى هذا التساؤل في محلّه.

سؤال: في كتابك «عقيلة جديدة بالكامل» تميل إلى الإشارة إلى الناس بصفة التأنيث، «هي». هل تشعر أن العولمة تسلط الضوء على دور المرأة؟ هل تعني أيضاً التلميح بأن الصفة الأنثوية للنفس الإنسانية سيكون لها نوع من الأفضلية في الاقتصاد الجديد؟

بينك: هناك أدلة كثيرة على أن الناس الذين يملكون أذهاناً ذات صفات أنثوية أكثر،أي الذين يستطيعون التفكير نموذجياً بطريقة ذكورية «الدماغ الأيسر» كما بطريقة أنثوية «الدماغ الأيمن» كذلك، قد يملكون أفضلية تقارنية في الاقتصاد الحديث. أعتقد أن الكثير من القدرات التي تُستبعد أحياناً كثيرة لكونها «مؤنثة» أو «لينّة»، أي أشياء كالاندماج الوجداني، وإلى بعض المدى، حتى الإبداع بذاته، أصبحت أكثر أهمية هذه الأيام وقد تضفي أفضلية طفيفة للنساء. لكني اعتقد بأن المستقبل يعود لأشخاص ذوي عقول أنثوية، أشخاص يملكون تلك القدرة التحليلية الجامعة، كما أنهم يملكون تلك القدرة الفنية، الشعور أو لاندماج الوجداني.

سؤال: هذا هذا صحيح فعلاً؟ ألا يشعر معظم الناس بارتياح تجاه المواقف الجنسية التقليدية؟

بينك: حسناً، أنظر إلى المهنة العسكرية في الولايات المتحدة. إنها مهنة المغالين بالتباهي برجولتهم. لكن لديك عددا كبيرا من النساء

اللواتي يخدمن في الجيش. فالمهمات التي يطلب من الجنود اليوم أداؤها تشمل أحياناً مجموعة أكثر تعقيداً من المهارات. فعليهم ان يفهموا الثقافة المحلية؛ هناك مهمات لحفظ السلام، وعملية حفظ السلام تختلف جداً عن المشاركة المباشرة في المعارك. وحسب رأيي، يملك كافة الرجال بعض القدرة على التفكير بصورة أنثوية، وأولئك الذين لا يرغبون في تطوير هذه القدرة قد يواجهون مشاكل.

سؤال: أحد التغييرات التي ترتبط بشكل ما بالعولمة هو انتشار استعمال الهواتف الخليوية والإنترنت، وحتى العاب الكمبيوتر. هل هذه الظواهر، في شكلها المنطوي على التسلية، مرتبطة حقيقة بالاقتصاد المعولم؟

بينك: من الصعب القول، لكن حتى العاب الفيديو، مثل أي شكل تسلية آخر، يمكنها أن تصبح لغة تفاهم مشتركة تستطيع تجاوز الثقافات؛ حتى التواصل المستمر للهواتف الخليوية يمكن ربطه بالعولمة، رغم كونه ابن عم بعيد نوعاً ما.

DAMIAN DOVARGANES ©AP/WWP

مالك مؤسسة أعمال صغيرة، رفائيل كاردييناس، يعمل في إدارة موقعه على الإنترنت Elgolfero.com لرياضة الغولف من منزله في لوس انجلوس. (داميان دوفارغينز / آسوشييتد بريس)

سؤال: في كتابك، تقول ان العولمة تبدو على أنها قادت إلى زيادة البحث عن الروحانية في الولايات المتحدة. لماذا حصل ذلك؟

بينك: هناك عدد هائل من الأدلة التي تؤكد أنه بعد مستوى معين، ومتواضع نسبياً، فإن زيادة الثروة لا تولد الرضا والسعادة في حياة الإنسان. وأن ما يضفي الرضا والسعادة في نهاية المطاف هي الأشياء غير النقدية: العمل المرضي، العلاقات الوثيقة، عيش حياة ذات معنى. أعتقد أنه بقدر ازدياد عدد الناس الذين يتحررون من الكفاح من أجل البقاء، سوف يصبح لدينا عدد أكبر من الناس الذين يمتلكون ترف السعي عن المعنى، السعي للحصول على شعور بالمقصد من الحياة، إحساس بالتسامي الروحي.

> "إن مشتري المواهب اليوم يملك قدرة الوصول إلى سوق عمل لا يكون محلياً فقط، بل لديه قدرة كافية في أن يشمل العالم أجمع، حتى ولو كانت هذه القدرة قد بدأت في التطور للتو"

أنظر إلى بحث عالم الاقتصاد روبرت ويليام فوغل، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، عندما يتحدث عن «اليقظة العظيمة الرابعة». يتحدث عن كيف ان السعي لتحقيق الذات توسع من جزء ضئيل من كوكب الأرض إلى أجزاء اكبر بكثير، وبالأخص في العالم النامي. ويسميه آخرون بأنه يعني «الحاجة إلى المعنى»، أي انتقلت أجزاءً من كوكب الأرض من مفهوم «الحاجة إلى المادة» إلى مفهوم «الحاجة إلى المعنى». أطلق رونالد انغلهارت من جامعة مشيغان على السعي لتحقيق الذات حركة انتقال من القيم المادية إلى قيم ما بعد المادية. اعتقد ان هناك نوعا من الترف ينجم عن الأحوال المادية الجيدة فيحرر الناس ليسعوا ما هو أكثر.

سؤال: في كتابك «بلاد الوكيل الحر»، قلت إن القوى العاملة المعولمة سوف تتكون أكثر فأكثر من ناس يمارسون الأعمال لحسابهم. فماذا عنيت بذلك؟

بينك: عرّفت الوكيل الحر على انه شخص يعمل دون ان يكون مرتبطاً بمؤسسة كبيرة، أي العمل الطليق، المالك الوحيد، المشغّل بمؤسسة اعمال صغيرة. اصبح هذا النوع من العمل أكثر انتشاراً بسبب التكنولوجيا، بسبب العقد الاجتماعي المتغير جذرياً بين الأفراد والمؤسسات، بسبب التغيير البنيوي ضمن المؤسسات ذاتها، وجزئياً بسبب البحث عن المعنى الذي تحدثنا عنه.

هذه هي القوى التي تجعل الكثير من الناس يقفزون من سفينة الشركات المساهمة وينطلقون للعمل لحسابهم، كما يدفع ذلك غيرهم من الناس. اما بالنسبة لارتباط كل هذه الأشياء بالعولمة، يخضع هذا الارتباط إلى المدى الذي يتيح للناس فيه حركية أكثر. هناك أشخاص يعملون لدى شركات أميركية شمالية قد يقطنون في أوروبا أو أماكن أخرى في الخارج. ويُتاح الآن للمفتشين عن شراء المواهب الوصول إلى سوق عمل لا تكون محلية فحسب بل عالمية بالفعل، مع أن بدأت تتطور للتو. ومع تطور الاقتصادات، اعتقد بأنك سوف ترى عدداً أكبر فأكبر من الناس حول العالم يسعون لابتكار طرقهم الخاصة في العمل، بدلا من ربط أنفسهم بصورة دائمة بمؤسسة واحدة. ■

"Working at home has been a mixed blessing."

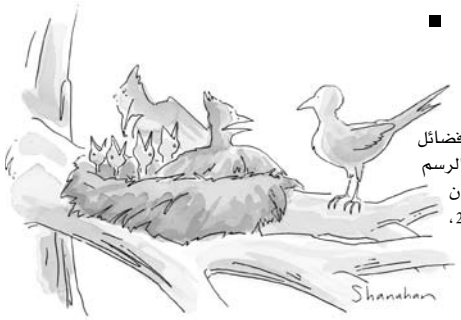

كان للعمل في المنزل فضائل متعددة. (حقوق نشر الرسم لمجموعة داني شاناهان النيويوركية لسنة 2000، من موقع: cartoonbank.com)

هل الثقافة الأميركية "أميركية" بالفعل؟

بقلم ريتشارد بيلز

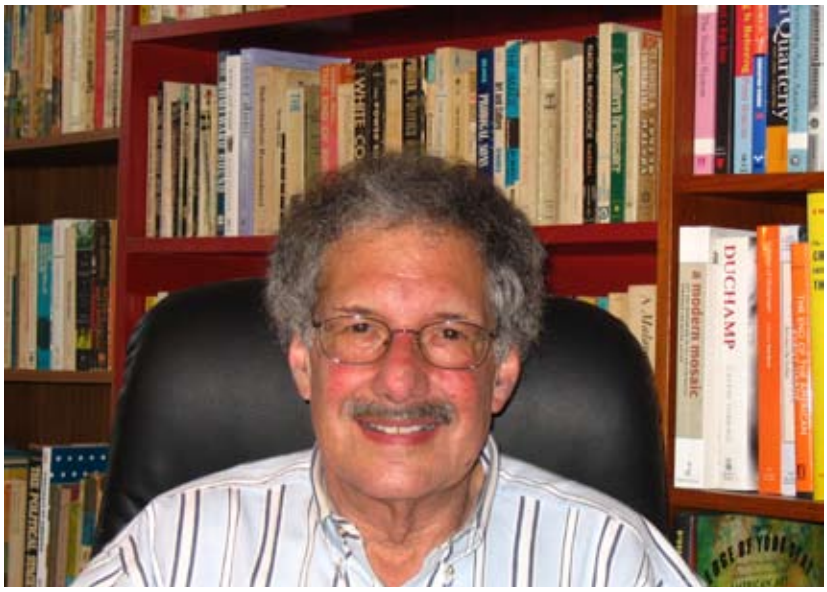

ألف ريتشارد بلز، أستاذ التاريخ في جامعة تكساس في أوستن، ثلاثة كتب هي: «الرؤى الراديكالية والأحلام الأميركية: الثقافة والفكر الاجتماعي في سنوات الكساد العظيم» (Radical Visions and American Dreams: Culture and Social Thought in the Depression Years)؛ «والعقل الليبرالي في عصر محافظ: المفكرون الأميركيون في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين» (The Liberal Mind in a Conservative Age: American Intellectuals in the 1940s and 1950s)؛ «ليسوا مثلنا: كيف أحب الأوروبيون الثقافة الأميركية، وكرهوها، وحولوها منذ الحرب العالمية الثانية» (Not Like Us: How Europeans Have Loved, Hated, and Transformed American Culture Since World War II).

يعمل حالياً على تأليف كتاب يحمل العنوان: من الحداثة إلى السينما: عولمة الثقافة الأميركية في القرن العشرين (From Modernism to the Movies: The Globalization of American Culture in the Twentieth Century). شغل بلز ستة مناصب تدريس وكرسي أستاذية بتمويل من مؤسسة فولبرايت، كما عمل أستاذاً زائراً في جامعات في هولندا، الدانمارك، ألمانيا، النمسا، فنلندا، البرازيل، استراليا، وإندونيسيا.

منذ بداية القرن العشرين، كان الناس في الخارج يشعرون بعدم الارتياح تجاه التأثير العالمي للثقافة الأميركية. في العام 1901، نشر الكاتب البريطاني وليام ستيد كتاباً حمل عنوان يثير المخاوف، «أمركة العالم» (The Americanization of the World). أشار العنوان إلى مجموعة من الهواجس حول اختفاء اللغات والتقاليد القومية وتدمير «الهوية» الفريدة لكل بلد تحت ثقل العادات والحالات الذهنية الأميركية، والتي لا زالت قائمة حتى اليوم.

وفي وقت أحدث، كانت العولمة تُعتبر العدو الرئيسي للأكاديميين، والصحافيين، والناشطين السياسيين الذين يكرهون ما يعتبرونه ميلاً نحو التماثل الثقافي. كما أنهم، كانوا عادةً، يعتبرون أن الثقافة العالمية والثقافة الأميركية ظاهرتين مترادفتين، و زالوا يصرون على أن هوليوود، ومكدونالد، وديزني لاند يقومون باستئصال الخصوصيات الفريدة الإقليمية والمحلية، إذ يبثّون الصور والرسائل الخادعة في العقل الباطن لدرجة أنها تُغرق الأصوات المنافسة لها في غيرها من البلدان. رغم هذه الاتهامات، فإن العلاقات الثقافية بين الولايات المتحدة وبقية بلدان العالم، لم يكن لها في أي يوم، طوال المئة سنة الماضية، جانب وحيد فقط. بل على العكس، كانت الولايات المتحدة، ولا زالت تلعب دورها كبلد يستهلك التأثيرات الثقافية والفنية الأجنبية، بنفس القدر الذي كانت تصوغ فيه وسائل ترفيه العالم وأذواقه.

في الواقع، وبصفتها دولة مهاجرين، فقد كانت أميركا، بدءاً من القرن التاسع عشر وحتى القرن الواحد والعشرين، هي المتلقية بقدر ما كانت المُصدّرة للثقافة العالمية. والحقيقة إن تأثير المهاجرين على الولايات المتحدة هو ما يفسر سبب شعبية ثقافتها طوال هذه المدة الطويلة، وفي أماكن مختلفة من العالم. انتشرت الثقافة الأميركية عبر العالم لأنها دمجت الأساليب والأفكار الأجنبية ضمن ثقافتها بالذات. وما قام به الأميركيون بصورة لامعة أكثر من منافسيهم خارج الحدود كان كناية عن إعادة تغليف المنتجات الثقافية الآتية من الخارج، وثم إعادة إرسالها إلى بقية أنحاء الكرة الأرضية. لهذا أصبحت الثقافة الجماهيرية العالمية توصف، رغم كون هذا التوصيف تبسيطياً، على أنها الثقافة الأميركية.

لم يبتكر الأميركيون مطاعم الوجبات السريعة، ولا حدائق الملاهي، ولا حتى الأفلام السينمائية. فقبل ظهور هامبرغر «بيغ ماك» كانت تباع سندويشات السمك والبطاطا المقلية (في بريطانيا). قبل ديزني لاند كانت توجد حدائق ملاهي تيفولي في كوبنهاغن (التي استعملها والت ديزني كنموذج أساسي لأول حديقة ملاهي أنشأها في اناهايم، بكاليفورنيا، وهو أنموذج أعيد تصديره إلى طوكيو وباريس). وخلال أول عقدين من القرن العشرين كانت فرنسا وإيطاليا اكبر دولتين في العالم مصدرتين للأفلام السينمائية.

تأثير الحداثة

وهكذا، لا يمكن مجرد إرجاع أصول الترفيه الدولية اليوم إلى سيرك «بي تي بارنوم»، أو إلى عرض بوفالو بيل المسرحي، «وايلد وست شو». كما أن جذور الثقافة العالمية الجديدة تكمن كذلك في انقضاض الحداثة الفكرية الناشئة أوائل القرن العشرين على الأدب، والثقافة، والموسيقى، وفن الرسم والهندسة المعمارية السائدة في القرن التاسع عشر. وعلى الأخص، رفض الحداثة لاحترام الحدود التقليدية بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية. كانت الحداثة في الفنون ارتجالية، انتقائية، ولم توفّر التقاليد. ميزت هذه الصفات كذلك الثقافة الشعبية الأميركية.

تحدى فنانو أوائل القرن العشرين مفهوم الثقافة على أنها وسيلة للترقّي الفكري أو الأخلاقي. أظهروا ذلك من خلال التشديد على الأسلوب ومهارة الصنع على حساب الاهتمام بالفلسفة، أو الدين، أو المنهج الفكري. دعوا عن قصد إلى الاهتمام بالأسلوب اللغوي في رواياتهم، إلى علم البصريات في لوحاتهم، إلى طبيعة المواد ووظائفها في هندستهم المعمارية، وإلى بنية الموسيقى بدلاً من ألحانها.

رغم ان الحداثة كانت مسألة تخص الأوروبيين، فقد سرّعت عن غير قصد نمو الثقافة الشعبية في الولايات المتحدة. فالسوريالية المتجاوزة للواقعية، مع ترابطاتها الفكرية المشابهة للأحلام، انساقت بسهولة نحو اللعب على الكلمات، واستخدام الرمزية النفسانية في أساليب الدعاية، والرسوم الكرتونية المتحركة، وحدائق الملاهي الموضوعية.

> "إن تأثير المهاجرين على الولايات المتحدة هو ما يفسر سبب شعبية ثقافتها طوال هذه المدة وفي أماكن مختلفة من العالم"

سَخِرت المدرسة الذاتية من تعالي المؤسسات الثقافية النخبوية وعززت الشهية القائمة قبلاً (بالأخص بين جماهير المشاهدين من المهاجرين في الولايات المتحدة) للعروض المسرحية «الشعبية» المسماة «نيكوليديونز» و«فودفيل» السيئة السمعة. وأفسحت تجارب سترافنسكي اللاتقليدية في الموسيقى غير الخاضعة للسلم الموسيقي المعروف، في المجال لقبول صلاحية الابتكارات الإيقاعية للجاز الأميركي.

أمّنت أفكار الحداثة الأسس لقيام ثقافة جديدة عن حق. لكن تَبيّن أن الثقافة الجديدة لا تَنزع لا إلى الحداثة ولا إلى أوروبا. بدلاً من ذلك، فقد حوّل الفنانون الأميركيون مشروعاً طليعياً إلى ظاهرة عالمية.

RENE MACURA ©AP/WWP

تقف الممثلة البريطانية المولودة في ويلش، كاثرين زيتا جونز مع الممثل المولود في إسبانيا، انطونيو باندیراس أمام عدسات المصورين قبل العرض الأول للفيلم «أسطورة زورو» في تشرين الأول/أكتوبر 2005. (رينيه ماكورا/آسوشييتد بريس)

خليط ثقافة «البوب» الشعبية

تَظهر أوضح رؤية للعلاقة التبادلية بين أميركا وبقية أنحاء العالم في الثقافة الشعبية. هناك أسباب عديدة لتفوق الثقافة الشعبية الأميركية. ومن المؤكد أن قدرة شركات وسائل الإعلام المتعددة النشطات الأميركية المنشأ، في السيطرة على إنتاج وتوزيع منتجاتها

شكلت دافعاً رئيسياً للانتشار العالمي لأنماط الترفيه الأميركية. لكن قوة الرأسمالية الأميركية لا تفسر، بمفردها، الشعبية العالمية للأفلام السينمائية والعروض التلفزيونية الأميركية، ولا هي حتى التفسير الأهم لذلك.

كانت فعالية اللغة الإنجليزية، كلغة اتصال جماهيرية، جوهرية لقبول الثقافة الأميركية. فبعكس اللغات الألمانية أو الروسية أو الصينية، كانت البنية الأبسط والنحو الأسهل للغة الإنجليزية، بالترافق مع ميلها لاستعمال كلمات اقصر واقل تجريداً، وجمل أكثر إيجازاً، مؤاتية لمؤلفي كلمات الأغاني، لمبتكري الشعارات الإعلانية، لتعليقات الصور الكاريكاتورية، لعناوين الصحف، ولحوارات الأفلام السينمائية والتلفزيونية. وهكذا، كانت اللغة الإنجليزية لغة ملائمة استثنائياً لاحتياجات وانتشار ثقافة «البوب» الشعبية الأميركية.

كما شكلت السحنة الدولية للمشاهدين الأميركيين عاملاً مؤاتياً أخر. فَرضَ التغاير في مزايا سكان أميركا، أي تنوعهم الإقليمي، الاثني، الديني، والعرقي، على وسائل الإعلام، منذ السنوات المبكرة للقرن العشرين، إجراء التجارب حول الرسائل، والصور، وأنواع القصص التي يمكنها اجتذاب جمهور واسع متعدد الثقافات. كان على استوديوهات هوليوود، والمجلات الواسعة الانتشار، والشبكات التلفزيونية التعلّم كيفية التحدث إلى مجموعات وفئات متنوعة من الناس في عقر دورهم. وفّرت لهم هذه التجارب التعرّف على الأساليب الفنية اللازمة لاجتذاب المشاهدين من خارج البلاد المتنوعين كذلك.

> **"إن التباينات بين سكان أميركا ... فرضت على وسائل الإعلام منذ السنوات المبكرة للقرن العشرين إجراء التجارب حول الرسائل، والصور، ومواضيع القصص التي يمكنها اجتذاب جمهور متعدد الثقافات."**

تمثلت إحدى الطرق الهامة لنجاح وسائل الإعلام الأميركية في تجاوزها للانقسامات الاجتماعية الداخلية، وللحدود الدولية، وحواجز اللغة، عبر مزجها للأنماط الثقافية. اتبع الموسيقيون ومؤلفو الموسيقى الأميركيون المثال الذي توفّر من الفنانين المحدثين، مثل بيكاسو وبراك، لاستخلاص عناصر مشتركة بين كل من الثقافة النخبوية والثقافة الشعبية. وقد أدمج ألان كوبلاند، وجورج غرشوين، وليونارد برنشتاين الألحان الشعبية، والتراتيل الدينية، وموسيقى البلوز، وأناشيد الأناجيل، وإيقاعات الجاز في موسيقاهم السيمفونية، وفي المقطوعات الموسيقية الأخرى كالكونشرتو، والأوبرا، والباليه. والواقع أنه تم تطوير أشكال فنية أميركية كاملة خلال القرن العشرين بدءاً من موسيقى الجاز، ووصولاً إلى ذلك المزيج من الموسيقى الأفريقية، والكاريبية، واللاتينية، والأوروبية المحدثة. عزز هذا الدمج الأشكال المتنوعة ضمن الثقافة الشعبية الأميركية جاذبيتها لدى المشاهدين والمستمعين متعددي الاثنيات، المحليين والدوليين، من خلال التقاطها لتجاربهم وأذواقهم المختلفة.

JENNIFER GRAYLOCK ©AP/WWP

يحمل النيوزيلندي، بيتر جاكسون، مخرج ثلاثية أفلام «ملك الخواتم» النموذج الأصلي للآلة المستعملة للتأثيرات الخاصة السينمائية، في فيلم «كينغ كونغ» المنتج عام 1933، وذلك في العرض الأول لآخر فيلم أخرجه، والمسمى كينغ كونغ أيضاً. (جنيفر غرايلوك/آسوشييتد برس)

التأثيرات الأوروبية على هوليوود

لم تظهر التأثيرات الأجنبية بوضوح أكثر مما ظهرت في صناعة السينما الأميركية. وإلى الحد الذي قد يكون ذلك أفضل أو أسوأ، أصبحت هوليوود في القرن العشرين العاصمة الثقافية للعالم الحديث. لكنها لم تشكل أبداً عاصمة أميركية حصرياً. فقد كانت وظيفة هوليوود، مثلها مثل المراكز الثقافية السابقة، فلورنس وباريس وفيينا، بمثابة مجتمع دولي مكوّن من أصحاب مبادرات مهاجرين يستمدون لعملهم مواهب ممثلين، مخرجين، كتّاب، مصورين سينمائيين، محررين، موسيقيين، ومصممي أزياء وديكورات من كافة أنحاء العالم.

علاوة على ذلك، وخلال الكثير من القرن العشرين، اعتبر مخرجو الأفلام الأميركيون أنفسهم من التابعين الذين سحرتهم الأعمال المتفوقة للمخرجين الأجانب. فبين الأربعينات ومنتصف الستينات من القرن العشرين، مثلاً، كان الأميركيون ينظرون بإجلال إلى مخرجين من أمثال اينغمار برغمان، فيديريكو فيلليني، مايكل

انجلو انطونيوني، فرانسواتروفو، جان لوك غودار، اكيرو كوروساوا، وساتياجيت راج.

رغم ذلك، فإن إحدى مفارقات السينما الأوروبية والآسيوية يتمثل في نجاحها العظيم في إعادة توليد المقلدات الأميركية. في أواخر السبعينات من القرن الماضي، كان العباقرة الأحدث من المخرجين، مثل فرانسيس فورد كوبولا، مارتن سكور سيزي، روبرت التمان، ستيفن سبيليرغ، وويدي آلن أميركيين. لكن هؤلاء الأميركيين يدينون في أساليبهم الارتجالية واهتماماتهم الدائمة بالتراجم الشخصية، إلى المدرسة الواقعية المتجددة الإيطالية وإلى الموجة الجديدة الفرنسية. إلاّ أن استخدام هذه الأساليب الفنية احدث انقلابا في السينما الأميركية فأصبح أكثر صعوبة بمكان لأي صناعة سينمائية أخرى في القارة الأوروبية مجاراة الشعبية العالمية للأفلام السينمائية الأميركية.

"إن رفض إرهاب المشاهدين فكرياً عبر إطلاق رسالة اجتماعية، كان هو السبب، أكثر من أي عامل آخر، للشعبية الأميركية لوسائل الترفيه الأميركية حول العالم."

ممثل «الأسلبة» الأميركي مارلون براندو والممثلة البريطانية فيفيان لي في فيلم «حافلة اسمها الرغبة». (آسوشييتد بريس)

مع ذلك، فقد حاكى المخرجون الأميركيون في كل عصر الفنانين ومخرجي الأفلام الأجانب من خلال الاهتمام الوثيق بالأسلوب والخصائص الشكلية للفيلم السينمائي، وإلى الحاجة لسرد القصة مرئياً. رغب الرسامون الأوروبيون في أوائل القرن العشرين من مشاهدي أعمالهم الإدراك بأنهم ينظرون إلى خطوط وألوان على قماشة وليس على تقليد للعالم الطبيعي. بصورة مشابهة، هناك أفلام أميركية عديدة، بدءاً من أسلوب تعدد الرواة في فيلم «المواطن كاين»، مروراً بالصورة المجزأة على الشاشة لإظهار الرؤية المختلفة لكل واحد من العاشقين لعلاقتهما الغرامية في فيلم «آني هول»، وصولاً إلى لقطات الارتجاع والاستباق الزمني في فيلم «بالب فيكشين»، تُذكّر المشاهدين عن قصد بأنهم يشاهدون فيلما وليس نسخة مصورة من الواقع. المخرجون الأميركيون للأفلام (ليس فقط في الأفلام السينمائية بل في أفلام الموسيقى التلفزيونية، القصيرة أم تي في، أيضاً)، الذين كانوا مستعدين لاستخدام اكثر الأساليب الفنية تطورا وتعقيداً المتعلقة بالمونتاج والتلاعب في كاميرا التصوير، استوحوا الكثير من تلك الأساليب من مخرجين أجانب لخلق ملصقات من الصور لالتقاط سرعة وإغراءات الحياة في العالم المعاصر.

إدمان هوليوود على التلاعب المثير بالمرئيات المتأثرة بفكر الحداثة، واضح بشكل خاص في الأسلوب غير الشفهي إلى حد كبير الذي اتبعه العديد من الممثلين المعاصرين. بعد الأداء الثوري لمارلون براندو في «حافلة اسمها الرغبة» على المسرح عام 1945، وفي النسخة المصورة على فيلم لهذه المسرحية عام 1951، أصبح هناك أنموذج من التمثيل الأميركي يقوم على عدم الإفصاح، أي التأمل الباطني المكتئب الذي لا يجده المرء في اللسان اللبق والسريع لابطال أو بطلات الأفلام الكوميدية الغربية، ولا في أفلام العصابات التي أنتجت في الثلاثينات من القرن الماضي.

تدرّب براندو على «الأسلبة»، طريقة فنية للتمثيل جرى تطويرها في مسرح ستانيسلانسكي للفن في موسكو في عصر ما قبل الثورة الروسية. شجعت الأسلبة هذه الممثلين على الارتجال، واستحضار ذكريات الطفولة والمشاعر الداخلية، وفي أحيان، كثيرة على حساب ما قصده كاتب المسرحية او كاتب السيناريو. وهكذا، كثيراً ما أصبحت تكمن القوة العاطفية للتمثيل الأميركي، كما ضرب لها المثال براندو وخلفاؤه، في ما لم يُقال، في استكشاف الانفعالات التي لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.

تأثير الأسلبة، ليس فقط في الولايات المتحدة، بل ايضا في الخارج حيث انعكس في أنماط تمثيل جان بول بلموندو ومارشيللو ماسترورياني، أصبح مثالاً كلاسيكياً لطريقة تكييف فكرة أجنبية بالأصل، كان المقصود في الأساس عرضها على المسرح، في الأفلام

الأميركية لما بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ثم نقلها مجدداً إلى باقي العالم كأنموذج من نماذج السلوك السينمائي والاجتماعي. والأهم هو أن إغفال الممثل المدرب على الأسلبة للغة، أدى إلى الاعتماد على الحركات الجسدية، وحتى على السكوت المطبق في التعامل مع الدور، فأتاح للمشاهدين في العالم، حتى الذين لا يتقنون اللغة الإنجليزية، فهم وتقدير ما يشاهدونه في الأفلام الأميركية.

العلاقات الإنسانية

وأخيراً، قلّدت الثقافة الأميركية ليس التوهج المرئي للمحدثين فحسب، بل وأيضاً ميلهم للابتعاد عن السياسة ومناهضة العقائد. ان رفض الإرهاب الفكري للمشاهدين عبر إطلاق رسالة اجتماعية كان هو السبب، أكثر من أي عامل آخر، للشعبية العالمية لوسائل الترفيه الأميركية حول العالم. وعلى وجه التخصيص، تُركّز الأفلام الأميركية اهتمامها في العادة على إظهار العلاقات الإنسانية والمشاعر الشخصية، وليس على المشاكل العائدة لزمن ومكان معينين، إذ تسرد هذه الأفلام روايات حول المغامرات الغرامية، المؤامرات ، النجاح، الفشل، النزاعات الأخلاقية، والبقاء على قيد الحياة. كانت أكثر الأفلام السينمائية انطباعاً في الذهن، التي أنتجت خلال الثلاثينات من القرن الماضي (باستثناء عناقيد الغضب)، أفلاما فكاهية وغنائية حول أشخاص غير متلائمين لكنهم يعشقون بعضهم البعض، ولم تكن أفلاما واعية للواقع الاجتماعي ولم تتطرق إلى قضايا الفقر والبطالة. بصورة مماثلة، كانت سبب الأفلام حول الحرب العالمية الثانية (مثل كازابلانكا) أو حول حرب فيتنام (صائد الابل) وبقاؤها في الذاكرة، بعد انتهاء هذين النزاعين بوقت طويل، انها استكشفت المشاعر الحميمية لشخصيات الرواية بدلا من التناول بإسهاب وتفصيل للأحداث الرئيسية التاريخية.

GREG BAKER ©AP/WWP

امرأة صينية تشتري تذاكر لمشاهدة الفيلم «تايتانيك» في دار للسينما في بكين. (غريغ بايكر/آسوشييتد بريس)

JOHN D. MCHUGH ©AP/WWP

ترشّح فيلم «مدينة الله» (2004) وفيلم «البستاني الدائم» للمخرج البرازيلي فرناندو ميريلليس لاربع من جوائز أكاديمية الفنون الأميركية. (جون ماكهيو/آسوشييتد بريس)

يتعامل الناس في كل مكان مع مثل هذه المعضلات الشخصية البالغة الحدة. ولهذا تدافع الناس في أوروبا، وآسيا، وأميركا اللاتينية لمشاهدة فيلم تيتانيك، كما فعلوا في السابق لمشاهدة فيلم «ذهب مع الريح»، ليس لمجرد أن هذين الفيلمين مجدا القيم الأميركية بل لأن الناس في كل أنحاء العالم استطاعوا ان يروا فيهما أجزاءً من حياتهم الخاصة معكوسة في قصص الغرام وفَقد الأحبة.

كثيراً ما كانت الثقافة الشعبية الأميركية فجّة ومتدخّلة، كما اشتكى دوماً منتقدوها. ولكن لم يشعر الأجانب مطلقاً بأن الثقافة الأميركية هي أجنبية على حد كبير بنظرهم. وفي افضل حالاتها حولت، ما استلمته من آخرين، إلى ثقافة يستطيع كل إنسان في كل مكان التناغم معها، أي ثقافة آسرة عاطفياً، وأحياناً فنياً، لملايين الناس عبر العالم.

وهكذا، رغم إعادة بروز الشعور المناهض للأميركيين، ليس فقط في الشرق الأوسط، بل وأيضا في أوروبا وأميركا اللاتينية، فمن المهم الإدراك أن الأفلام، والعروض التلفزيونية، وحدائق الملاهي الأميركية كانت اقل «إمبريالية» منها عالمية. وفي نهاية المطاف، لم تحول الثقافة الجماهيرية الأميركية العالم ليصبح نسخة مطابقة عن الولايات المتحدة. بدلاً من ذلك، فقد جعل اعتماد أميركا على الثقافات الأجنبية من الولايات المتحدة نسخة مطابقة عن العالم. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

سيدة أوروبية تبحث في تأثير الثقافة الأميركية

بقلم جسيكا سي . أي غينو-هيخت

جسيكا سي . أي غينو-هيخت تُدرّس مادة التاريخ في جامعة يوهان وولفغانغ غوتيه، في فرانكفورت ام ماين. مُنح كتابها الأول بعنوان: «النقل المستحيل: الصحافة الأميركية كدبلوماسية ثقافية في ألمانيا بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٥٥» (Transmission Impossible: American Journalism as Cultural Diplomacy in Postwar Germany ١٩٤٥-١٩٥٥) جائزة ستيوارت برنات كأفضل أول كتاب في تاريخ الدبلوماسية.

سوف يُنشر كتابها الثاني بعنوان: «الموسيقى والعواطف في العلاقات الألمانية الأميركية منذ عام ١٩٥٠» (Music and Emotions in German-American Relations Since ١٩٥٠) من قبل مطبعة جامعة شيكاغو. درّست في جامعة فرجينيا، وجامعة بيلفيلد، وجامعة مارتن لوثر في هالي- ويتنبرغ، وجامعة هارفرد.

في فيلم «لاشك ان الآلهة مجانين» (The Gods Must Be Crazy)، المُنتج عام 1980 يلقي طيار يقود طائرته عبر صحراء كالاهاري في بوتسوانا زجاجة كوكا كولا فارغة في وسط قبيلة أفريقية. فيعتبر السكان الأصليين على الفور بأن الزجاجة هدية من آلهتهم. ولكن «الهدية» تُغيّر التقاليد والمفاهيم الاجتماعية السائدة لديهم نحو الأسوأ. وفي نهاية المطاف تُرسل القبيلة أحد أعضائها لإلقاء الزجاجة في مكان بعيد يعتقدون على أنه حافة الكرة الأرضية.

يوفّر هذا الفيلم تبصراً في ما أصبح يُعرف باسم «النقاش العظيم»: هل أن الأميركيين «إمبرياليون ثقافيون» يقومون بغزو وإفساد بقية العالم من خلال نشر ثقافتهم الشعبية في كل مكان.

صحيح، كما يكتب ريتشارد بيلز، أن الكثير في ما يُشكّل ثقافة شعبية أميركية اليوم، يعود أصله إلى مزيج من التأثيرات الأَجنبية خلال القرن العشرين. لكن هذا الرأي لا يُفسر سبب انتقاد هذا العدد الكبير من الناس حول العالم ما يعتبرونه «استعماراً ثقافياً أميركياً». كما أنه لا يُفسر لماذا أصبحت هذه الفكرة بمثل هذه القوة على امتداد القرن المنصرم. وإذا رغبنا في أن نفهم بشكل أفضل هذا الإدراك الحسي يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار تركيبة وتأثير الثقافة الأميركية في الخارج، كما يفعل بيلز، علاوة على مدى قبولها من جانب غير الأميركيين.

الخلفية التاريخية

إنها لمفارقة غريبة في التاريخ الأميركي أن تكون دولة أثارت منقولاتها الثقافية هذا القدر الكبير من الجدل، إذ أنها نشأت دون اهتمام يذكر في تصدير الثقافة. رأى الأميركيون، تاريخياً، تمايزهم بصورة أولية من خلال نظامهم السياسي أكثر مما رأوه في شعرائهم، وفنانيهم، وكتّابهم الروائيين. فهم يعتبرون على أن ثقافتهم الشعبية، بوجه عام، مصدر للترفيه الشخصية أكثر منها أداة للسياسة الخارجية. لم يفكروا بجدية مطلقاً في إنشاء وزارة

ثقافة ضمن الحكومة الفدرالية. وفي عام 1938 أنشأت وزارة الخارجية قسم العلاقات الثقافية، لكن مسؤولين أميركيين عديدين انتقدوا استخدام الثقافة كأداة دبلوماسية. وحتى اليوم لا زال يعتقد معظم الأميركيين أن الثقافة تنتسب إلى حيّز الإبداع، والذوق العام، والمبادرات الفردية الحرة، وليس إلى الحيّز الحكومي.

لكن الوضع تغير بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. فخلال الحرب الباردة قرر الدبلوماسيون الأميركيون أن الولايات المتحدة بحاجة إلى الدفاع عن طريقة الحياة الأميركية في الخارج. وفي الوقت الذي كان يسعى فيه الاتحاد السوفياتي إلى تصدير الشيوعية سعت شخصيات عامة، كما سعى صانعو السياسات في أميركا، إلى ممارسة نفوذ أكبر عبر الثقافة حول العالم وخلال السنوات التي تلت يوم النصر في الحرب العالمية الثانية أنشأت الحكومة الأميركية عدداً من المنظمات والبرامج مثل وكالة الإعلام الأميركية وبرنامج فولبرايت للتبادل الثقافي، الذي شجع نقل المعلومات حول الثقافة الأميركية.

من وجهة نظر موضوعية، لم تكن بالطبع الولايات المتحدة أول بلد يُصدّر طريقة حياته. منذ عصر النهضة، رعت دول أوروبية مجموعة متنوعة من برامج التبادل الثقافي. فقد صدّر البريطانيون

ANJUM NAVEED ©AP/WWP

السفير الأميركي لدى باكستان، ريان كروكر، يتحادث مع الباكستانيات اللواتي تلقين منحة فولبرايت في نيسان/أبريل 2005. (آنجون نافيد / آسوشييتد بريس)

في الهند والشرق الأوسط، والألمان في أفريقيا، والفرنسيون في الهند الصينية، ثقافتهم إلى الخارج لتكون أداة قوية لتعزيز التجارة، والتبادل التجاري، والنفوذ السياسي، ولاجتذاب النخبة من الناس لتحقيق أغراضهم الخاصة. كشفت دراسة أجرتها منظمة الأونيسكو عام 1959 أن ما يزيد عن نصف عدد الدول الواحدة والثمانين التي جرى استطلاعها، ومن بينها جميع الدول الكبرى، كانت تنظّم برامج رسمية للعلاقات الثقافية. تعتمد بعض نشاطات دول المجموعة الأوربية اليوم على الدبلوماسية الثقافية الجماعية، أي إنشاء منظمات تُعزز نشر اللغات وتبادل المعلومات الثقافية.

وتقليدياً، تقوم الأرجنتين، والمكسيك، ومصر، والسويد، والهند بتصدير وسائلها الإعلامية إلى البلدان المجاورة. كما أن امتلاك الشركات الأجنبية لاستوديوهات هوليوود خلال السنوات الأخيرة أثار التساؤل حول ما إذا كان الأميركيون قد تحولوا من «إمبرياليين ثقافيين» إلى ضحايا عمليات الامتلاك الأجنبي لها. ولكن حتى لو لم تكن الولايات المتحدة أول دولة تقوم بتصدير طريقة حياتها، فقد ركّز الناقدون الأجانب مخاوفهم من المستقبل على الولايات المتحدة.

في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، على سبيل المثال، شهدت أوروبا الغربية ازدياد الاحتجاجات ضد الأميركيين، كالمجموعات الداعية إلى السلام، والمظاهرات الحاشدة ضد الوجود العسكري الأميركي. وتوسعت هذه الحركة المناهضة للأميركيين بسرعة في أوروبا لتشمل شؤوناً ثقافية. اعتقد النقاد أن المنتجات الأميركية مارست نفوذاً تجاوز بكثير مدى شعبيتها لدى المستهلكين. بدت السلع الأميركية على أنها لا تسيطر على الأسواق الأجنبية فحسب بل وأيضاً على العقول الأجنبية. في نظر العديد من المثقفين الأوروبيين، على ما يبدو، أصبحت الثقافة الجماهيرية، أفلام هوليوود، والروح التجارية تهدد السيادة والتقاليد الأوروبية وكذلك النظام الاجتماعي الأوروبي الذي يستند إلى الثقافة المطبوعة. بدت أيضاً الثقافة الجماهيرية على أنها تطمس تمايزاتهم الاجتماعية، وتتجاوز حدود الدولة القومية وتوسع السواق التجارية للرأسماليين.

مع ذلك، فإن ما يُبلغك إياه فلان عن علاّن يُبلغك أكثر من ما يخبرك عن علاّن. فما يعتقده الناس حول العالم بشأن الثقافة الأميركية يخبرنا عن هؤلاء الناس أكثر مما يخبرنا عن الولايات المتحدة.

الثقافة والعولمة

اليوم، يندب سياسيون ونقاد ثقافيون عديدون حول العالم تدفق الأفلام الأميركية، فمثلاً يقلق الممثلون الأوروبيون فيما يعود لتمايزهم الثقافي، ويخشون من أنهم فقدوا بالفعل الكثير من جماهير مشاهديهم لمصلحة المنتجات الأميركية. ندد بعنف وزير الثقافة السابق في فرنسا، جاك لانغ، في مقابلة جرت معه عام 1990 بالاستعمار الثقافي الأميركي كان عنوانها الصحفي الرئيسي «كلما علا القمر الصناعي كلما تدنت الثقافة». لم يكن هذا الانتقاد جديداً. ففي السبعينات من القرن الماضي كتب الأستاذ الجامعي التشيلي أرمان ماتلارت، والروائي والناقد أرييل دورفمان مشورة مؤثّرة حملت عنوان «كيف نقرأ دونالد داك»، نددا فيها بالرؤية المشوهة للواقع في نظر هوليوود، ودعيا إلى تحرير الشعب التشيلي من خلال الثقافة الخاصة به.

تجد دول صغيرة، شعوب نائية، وقبائل غير معروفة طريقها إلى العناوين الرئيسية للصحافة الدولية، من خلال احتجاجها الضاج ضد التأثيرات الغريبة. فمن أيسلندا إلى أميركا اللاتينية، من أفريقيا الوسطى إلى الفليبين، يحزن، وفقاً لما نسمعه، ممثلون لبلدانهم لزوال ثقافتهم نتيجة النفوذ المتفاقم للتلفزيون والثقافة الانجلو أميركية.

ولكن، ومن عدة طرق فإن فكرة «الإمبريالية الأميركية» تبقى غير كافية. فقد أكد عالم الاجتماع جون تومليسون أن هذه الظاهرة قد لا تكون ببساطة سوى أفكار الحداثة، وهي عملية نفقد من خلالها الثقافات المحلية، وليست توسعاً ثقافياً. فالتقدم والتشامل التكنولوجي والاقتصادي العالميان يقللان من أهمية الثقافة القومية. لذلك من الخطأ إلقاء اللوم للتطور العالمي على بلد واحد. بدلاً من ذلك، فإن كافة البلدان تتأثر بالتغيير الثقافي العالمي.

في المستقبل، قد يكون مصطلح «العولمة» يعني القدرة على الحلول محل الانتقاد للاستعمار الثقافي الأميركي. تشير العولمة إلى انضغاط العالم كما إلى الإدراك المتنامي بأن الكرة الأرضية كيان متكامل عضوياً. رغم أن الكثيرين يتحدثون بكل بساطة عن العولمة كظاهرة اقتصادية، فهي ظاهرة متعددة الأوجه في أسبابها وتأثيراتها. يشمل هذا المصطلح المبهم بنوع ما العديد من خاصيات انتشار الرأسمالية، والتكنولوجيا، ومنطقية التفكير الغربية. مع ذلك، تكمن الفكرة المركزية في أن الثقافات والمجتمعات لا تتراكب بالضرورة مع حدود الدولة القومية. بكلمات أخرى، قد لا تقع مسؤولية انتشار الثقافة الجماهيرية الحديثة على عاتق الولايات المتحدة.

خلال العقود الأخيرة، انتقل الكثير من الانتقادات الدولية «للإمبريالية الثقافية» بعيداً عن الخط المناهض للأميركيين إلى مستوى عالمي أوسع دون تسمية عدو يمكن تعيينه. وحتى النقّاد الرئيسيون للولايات المتحدة أعادوا ترتيب لومهم السابق ليتناسب مع هذا الرأي. وحتى في عام 1980، قام ارمان ماتيلارت بالتحذير من الاستعمال العريض وغير الملائم لمفهوم «الإمبريالية الثقافية» فشدّد على أن المصطلح لا يعني ضمنياً وجود مؤامرة خارجية بل يمكن أن يتشكل فقط من مجموعة متوافقة من القوى الدولية والمحلية (النخبوية).

فإذا كانت فكرة السيطرة الثقافية للولايات المتحدة مُعرّضة لمثل هذا القدر من عدم اليقين، فلماذا إذن تضخم الشعور المناهض للأميركيين في كل مكان تقريباً من العالم خلال العقود الماضية وحتى اليوم؟ كثيراً ما تتعلق الأسباب بالولايات المتحدة أقل من تعلقها بالمحتجين أنفسهم. بمفهوم معين، لا توجد مناهضة ثقافية ضد الأميركيين بل فقط مجموعة متناظرة من العبارات غير المتجانسة لهذه الظاهرة مُتكيّفة مع الهواجس الجغرافية والدورات الطبيعية التاريخية. لا يختلف شكل ومحتوى هذه الظاهرة طبقاً لأبعادها الحيزية فحسب، إلى بل وأيضاً استناداً إلى أبعاده الزمنية: لكل عصر ولكل مجموعة أشكالها الخاصة بها في المناهضة للثقافة الأميركية. في القرن العشرين، تركزت الكثير من هذه الانتقادات، على الجانب الاقتصادي للصادرات الثقافية الأميركية. ويبدو أنه في القرن الواحد والعشرين، سوف يقلق الناس أكثر بشأن تداعيات القوة الأميركية على السياسة العالمية.

خلال الحرب الباردة، نشأت أساساً الانتقادات الفرنسية المناهضة للسياسة الأميركية من انشقاق الشيوعية والاشتراكية. نددت المناظرات العلنية بالتوسع الأميركي، بالحلف الأطلسي، وبما كان يعتبر انه التأثير المفسد للفن الأميركي، والتي كانت تُرعب جميعها النخبة من الفرنسيين، لكن ليس جماهير الناخبين. بدلاً من ذلك، سحر مفهوم «طريقة الحياة الأميركية» جيلاً بكامله من الفرنسيين الشباب الذي عشقوا الاستهلاكية، ومستويات المعيشة الأعلى، والنمو الاقتصادي.

القضية الفرنسية مفيدة لأنها تشير إلى المفارقة الأساسية لمسألة الشعور المناهض للثقافة الأميركية: في أي نقطة زمنية كان هذا الانتقاد، ولا زال، من غير الممكن اعتباره دون وجهه الآخر، أي محبة الثقافة الأميركية. ويمثل التوتر بين هذين الوجهين الشرط اللازم بذاته لدعم بقاء كلا الوجهين: فالتوقعات العالية والسقوط المرير للأوهام يتصلان دوماً بشكل وثيق.

ويبقى أن أكثر الدول قوة كانت تواجه الدرس التاريخي الأساسي بأن القوة تولد الريبة، وبأنه كلما ازدادت القوة التي تسلطها دولة مسيطرة كلما ازدادت عدائية الدول الأخرى لها. خلال الفترة بين الحربين العالميين، وحتى خلال السنوات الأولى للحرب الباردة، أدرك عدد من المراقبين السياسيين والمراقبين الثقافيين هذه النقطة وانذروا صانعي السياسة الأميركية حول تداعيات هذا التطور. وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة قوة عالمية عظمى كان من غير الممكن للناس في الخارج، بكلمات العالم اللاهوت الأميركي راينهولد نيبور، «أن يكرهنا الذين يملكون السلطة عليهم»، وهذا صحيح وفق مصطلحات ثقافية وسياسية. عند الإمعان في التفكير بمستقبل العولمة والدور الذي سوف تلعبه الولايات المتحدة في هذا السياق، فقد ترغب في تذكر كلمات هذا الرجل الحكيم. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

"شهرة" حول العالم

في العالم المعولم اليوم، لم تعد الشهرة تنحصر بنفس بلد المرء. نجوم السينما، الموسيقيون، أبطال الرياضة، مصممو الأزياء، وأصحاب المبادرات الاقتصادية هم من بين المجموعات العديدة التي حققت «شهرة عظيمة» من خلال مشاطراتهم لمواهبهم وثقافتهم الفريدة مع المجتمع العالمي. تلقي القصة المصورة التالية الضوء على بعض هؤلاء الناس الذين استغل العديد منهم شهرته لتحسين حياة غيره ممن هم أقل حظوة منه. فعلى سبيل المثال، تبرع نجم كرة السلة الكونغولي، والإنساني المعروف، ديكمبي موتومبو، الظاهر أدناه، بملايين الدورات لتأسيس أول مرفق طبي حديث في كينشاسا، عاصمة جمهورية الكونغو الديمقراطية. يظهر موتومبو، نجم فريق كرة السلة هيوستون روكيتس، محاطاً هنا بزميليه في الفريق: النجم الصيني ياو مينغ والأميركي ديفيد وزلي (وكالة أنباء أ.ب. هي صاحبة جميع الصور في هذا التحقيق).

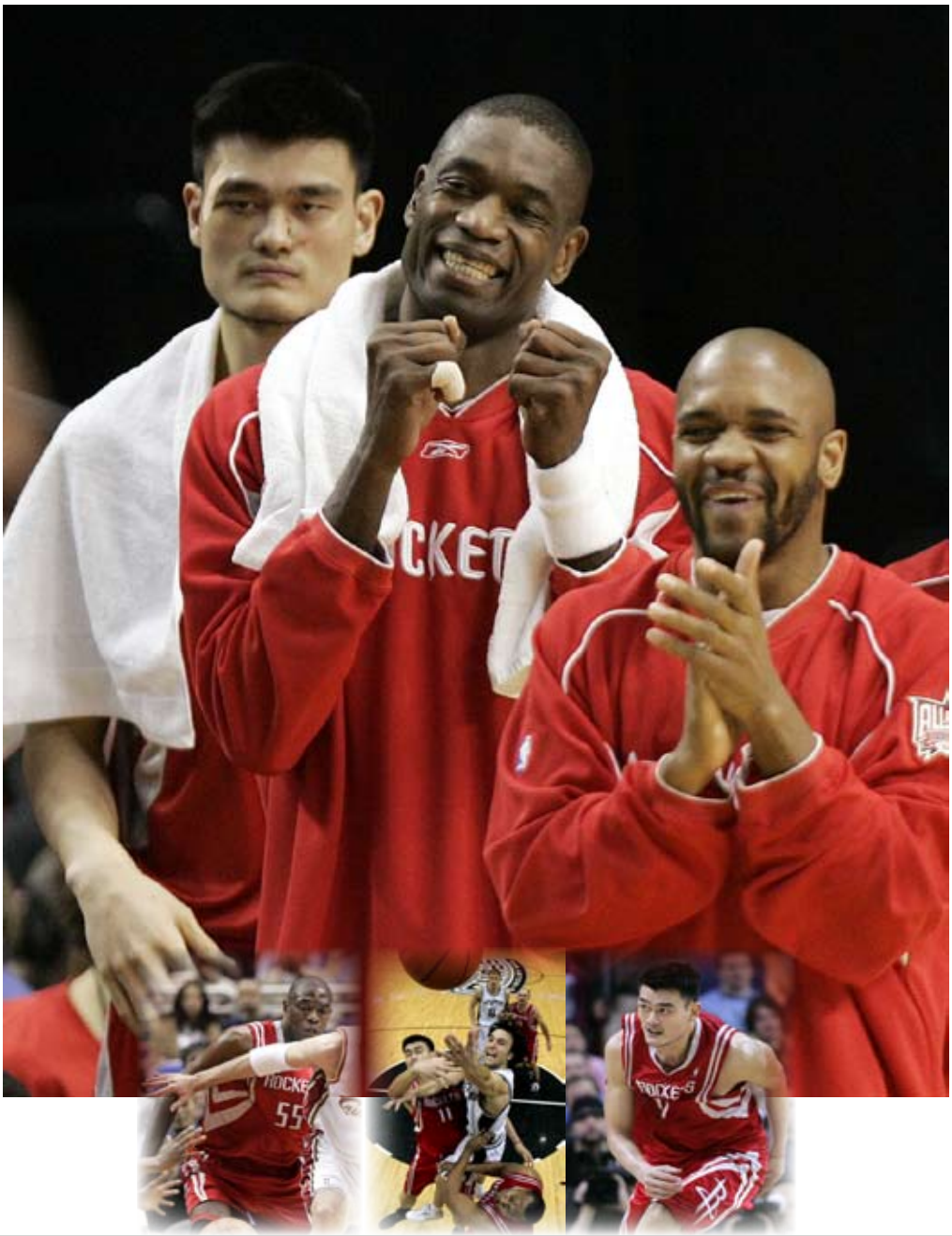

نجم موسيقى الروك الأيرلندي بونو، المغني الرئيسي في فرقة U2، يصدح أمام الجماهير في خمس حفلات نفذت جميع تذاكرها وأقيمت الحفلة في ماديسون سكوير غاردن بمدينة نيويورك. في عام 2006، حصلت فرقة U2 على خمس جوائز غرامي، وهي الجائزة الكبرى في صناعة الموسيقى الأميركية. بالإضافة إلى شهرته الموسيقية، يُعرف بونو دوليا بعمله النشط في برامج مكافحة مرض الإيدز في أفريقيا.

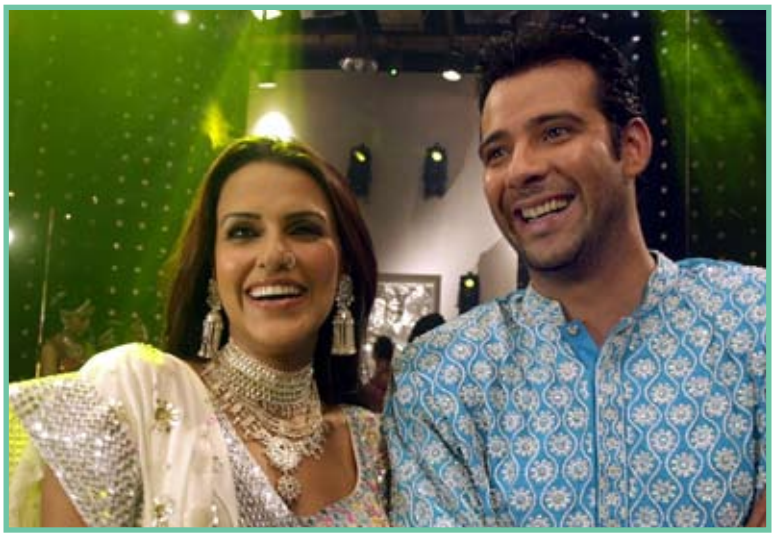

ممثلة «بوليوود»، نهى دوبيا، والممثل الباكستاني معمر رانا، يقفان أمام عدسات المصورين خلال حملة ترويج لفيلهما القادم «لا تقع في الحب أبداً». إن الاستوديوهات المسماة «بوليوود» في الهند، وهي كلمة تتلاعب على لفظة هوليوود، تُعدّ أكثر استوديوهات صناعة الأفلام السينمائية في العالم غزارة في الإنتاج، حيث تنتج سنويا مئات الأفلام التي يشاهدها ملايين البشر عبر العالم. عمل سوية عدد من النجوم، والمخرجين، والمنتجين المتعاقدين لدى استوديوهات «بوليوود» على جمع التبرعات لضحايا الإعصار تسونامي عام 2005.

لاعب البيسبول، لأقصى الملعب، في فريق نيويورك يانكيز، هيديكي ماتسوي، إلى اليسار، ولاعب البيسبول، لاقصى الملعب، في فريق سياتل مارينرز، ايشيرو سوزوكي تمكنا من الانتقال بنجاح من ممارسة لعبة البيسبول في اليابان ليصبحا لاعبين في رابطة فرق البيسبول الرئيسية التي تضم نجوم اللعبة في الولايات المتحدة. واستنادا إلى موقع الإنترنت mlb.com هناك نسبة قدرها 29,2 بالمئة من اللاعبين في رابطة فرق البيسبول الرئيسية، وكانت مسجلة أسماؤهم يوم افتتاح المباريات عام 2005، كانوا مولودين خارج الولايات المتحدة. يمثل هؤلاء اللاعبين 15 بلداً أجنبياً، إضافةً إلى بورتوريكو وجزر الفيرجين.

المنتج/المخرج السينمائي الشهير ستيفن سبيلبرغ، والممثلة الماليزية ميشال يوه، والممثل الياباني كن واتنابي يظهرون في حفلة العرض الأول للفيلم «مذكرات فتاة غيشا». مثلت يوه ايضاً في الأفلام «النمر المتوثب، التنين المخفي»، و «غداً لا يموت أبداً». تشمل الأفلام التي أنتجها وأخرجها سبيلبرغ أفلاما حطمت الأرقام القياسية في عدد مشاهديها، مثل «انديانا جونز»، وسلسلة أفلام «جوراسيك بارك». وقد مثّل واتنابي أيضا في فيلم «الساموراي الأخير.»

أصبحت الممثلة الفرنسية أودري تاتو نجمة دولية جراء أدائها في الحكاية الخيالية العاطفية «أميلي» من تأليف جون – بيير جونيه. وتمثل أودري أيضاً في فيلم «خطوبة طويلة جداً»، وهو من إنتاج فرنسي/أميركي مشترك.

خلال الخمسينات، والستينات، والسبعينات من القرن الماضي اشترك لاعب كرة القدم البرازيلي بيليه في أربع دورات لبطولة كأس العالم في لعبة كرة القدم مع الفريق القومي البرازيلي، وسجل 1280 هدفاً في جميع المباريات التي شارك فيها والتي بلغ عددها 1360 مباراة. يستمر اعتباره في البرازيل أسطورة حية، حيث سوف يُعرف إلى الأبد على انه الشخص الذي نقل لعبة كرة القدم إلى الولايات المتحدة. قام بيليه بنشاط واسع لمصلحة رعاية الأطفال من خلال منظمة اليونسيف التابعة للأمم المتحدة.

كثيراً ما تدمج أفلام جاكي شان الفكاهة الصاخبة مع فنون القتال العالية الشدة. ومثله مثل الممثل يوه، يؤدي شان بنفسه حركات الأدوار الخطيرة في أفلامه. تشمل لائحة أفلامه الأفلام، «قصة بوليسية جديدة»، و«ساعة الازدحام»، و«ساعة الازدحام 2»، و«ظُهر يوم في شانغهاي». يشغل جاكي شان أيضاً منصب سفير النوايا الحسنة لدى اليونسيف، وساهم بمبلغ 65 الف دولار لمساعدة ضحايا الإعصار تسونامي.

المغنية/الممثلة بيورك أصبحت، دون نقاش، اشهر شخصية في فن الغناء الشعبي في أيسلندا. سُميت افضل ممثلة لدورها في فيلم «راقصٍ في الظلام» في مهرجان كان السينمائي في أيار/مايو 2000. أكسبها هذا الفيلم ترشيحاً لنيل جائزة الأكاديمية للفنون في عام 2001 لأفضل أغنية، والتي حملت العنوان «رأيت كل شيء». اشتركت بيورك بتقديم أغانيها في الحفل الغنائي «اليابان 8 مباشر» لدعم المساعدات لأفريقيا. أطلقت البوم أغانيها «جيشي مؤلف مني»، ورصدت إيراداته إلى ضحايا الإعصار تسونامي في آسيا.

آيجي أونوما، مصمم ياباني ومخرج العاب فيديو، كسلسلة الألعاب نينتندو الشعبية المسماة «أسطورة زلدا». كون العديد من العاب الفيديو متفاعلة، ومسلية وتميل، إلى التأثير على الطبيعة التنافسية للناس، فإنها ساهمت في انتشار الشعبية الدولية لهذه الألعاب. تقدم العديد من هذه الألعاب خيار اللعب المنفرد للاعب ضد الكمبيوتر نفسه، أو ضد أصدقائه، او ضد لاعبين آخرين عبر العالم متصلين مباشرة بخط الإنترنت.

المغنية ماريا ريتا، الحائزة على جائزة غرامي، هي ابنة المغنية البرازيلية الراحلة أليس رجينا وعازف موسيقي الجاز وموسيقى البوب على البيانو، والمؤلف والمكيّف الموسيقي، سيزار كامارغو ماريانو. كسب ألبومها الأول المعنون باسمها، عام 2003، ليس الإطراء الشعبي وإطراء النقاد فحسب، بل وأيضا ثلاث جوائز لاتين غرامي، والتي شملت جائزة افضل فنانة جديدة، وجائزة افضل البوم لموسيقى شعبية برازيلية (MPB)، وجائزة افضل اغنية برازيلية (باللغة البرتغالية). وصفتها صحيفة نيويورك تايمز بأنها «اكبر ظاهرة في حقل الموسيقى الشعبية البرازيلية حدثت منذ سنوات.»

وصفت موسيقى فرقة «سيستم أوف أي داونز»، والتي انطلقت من لوس انجلوس، على أنها تجمع بين عناصر من موسيقى «الغوث» أو القوطية (شكل مبسط من موسيقى الروك) وموسيقى «الفانك» (شكل من موسيقى الروك العاطفية الكئيبة)، والتي تصاحبها موسيقى إيقاعية حادة تجتذب المعجبين من صغار الشباب مع كلمات تجذب من هم في العشرينات من العمر. كل أفراد الفرقة من أصل أرمني وولد اثنان منهم في لبنان، وواحد في أرمينيا، وآخر في كاليفورنيا.

رسّخت المغنية الكولومبية شاكيرا شهرتها كنجمة غناء عالمية تؤدي مزيجا مبتكرا من أنماط الموسيقى الشعبية والروك. نالت جائزة غرامي لأفضل مغنية موسيقى البوب («OJOS ASI») في الحفلة الافتتاحية لتوزيع جوائز غرامي اللاتينية عام 2000. تعززت شهرتها كسوبرستار بدرجة كبيرة في السنة التالية عندما دخلت أغنيتها «لوندري سرفيس» (خدمة الغسل) في لائحة الأغاني الخمس الأكثر انتشارا على القوائم الأميركية الرئيسية لموسيقى البوب.

يقف سايجي هدريبوشي، مؤسس شركة فيز للاتصالات، وناشر مجلة «شونن جامب» بجوار عدد من الشخصيات الهزلية وشخصيات الرسوم الكرتونية المتحركة، عند مدخل مكاتب شركته في سان فرانسيسكو. الرسوم المتحركة، واللّعب، والعاب الفيديو اليابانية تتمتع بشعبية كبيرة حول العالم لأنها تتجاوز تقييدات الجنس والسن. كُتب القصص المصورة «مانغا»، والرسوم المتحركة اليابانية المعروفة باسم «أنيم»، تتحول حاليا بسرعة من كوّة السوق الخاص بها إلى ظاهرة جماهيرية في الولايات المتحدة.

كانت الاسطوانة «بايبي غيرل» التي أطلقها شون بول عام 1996 الأولي من سلسلة روائع موسيقى الريغّي التي أثبتت ان بالإمكان تبني هذا النمط من الموسيقى الجاميكية الشعبية الأصلية لقاعات الرقص على نطاق عالمي. بيع عبر العالم 6 ملايين نسخة من ألبومه «دوتي روك» الحائز على اسطوانتي بلاتين مزدوجتين (التي تمنحها شركة تسجيل الاسطوانات للمؤلف عندما يتجاوز العدد المباع من الاسطوانة المليون نسخة). وكذلك حصل على جوائز شرف عديدة من بينها جائزة غرامي لافضل البوم لموسيقى الريغي عام 2004.

تحضر المغنية بيونس نولز، ومصمم الأزياء الكبير طوني هيلفيجر، حفل إطلاق صنف عطور جديد أنتجه هيلفيجر. بيونس، المولودة في هيوستون، تكساس مؤلفة موسيقية بارعة وتغني بالفرنسية كما بالإنجليزية. حصلت على جوائز غرامي عديدة وتؤدي أغانيها أحيانا كثيرة في حفلات خيرية، كالحفل الخيري الذي أقيم عام 2003 لمكافحة مرض الإيدز في أفريقيا الجنوبية. يعمل والدها، بمثابة مؤسسة أعمال عائلية حقيقية، مديراً لأعمالها، وتُصمم والدتها أزياء ملابسها. المصمم هيلنيجر القادم أساسا من الميرا، بولاية نيويورك، حول شركة بدأت أعمالها ببيع سراويل الجينز والملابس الرياضية للرجال إلى إمبراطورية عالمية وحققت إجمالي مبيعات سنوية تجاوزت نصف مليار دولار، وشملت بيع ملابس نسائية، ملابس أطفال، أحذية، نظارات، عطور، ومفروشات منزلية.

جيرار دي بارديو قد يُعتبر أهم ممثل في فرنسا اليوم، قام بأدوار في المسرح وفي السينما شملت دور سيرانو دي برجيراك، الكونت دي مونتي كرستو، نابوليون، والشخصية الهزلية اوبيليكس. مثّل في أفلام أميركية مثل «الرجل في القناع الحديدي» و«البطاقة الخضراء»، ويمثل أيضاً في فيلم «فرسان مانهاتن»، من إخراج سام وايزمن، والمقرر عرضه عام 2006.

العولمة وحقوق الإنسان والديمقراطية

بقلم دانيال غريسوولد

دانيال غريسوولد هو مدير مركز دراسات السياسة التجارية في معهد كاتو في واشنطن، العاصمة. ألّف العديد من الدارسات والمقالات حول التجارة، والهجرة، والعولمة بضمنها دراسة أجراها في كانون الثاني/يناير 2004 حملت العنوان: «استبدال الاستبداد بالحرية كيف: كيف تحرث الأسواق المفتوحة التربة للديمقراطية»
Trading Tyranny for Freedom
(How Open Markets Till the Soil for Democracy)
وهي متوفرة على موقع الإنترنت www.freetrade.org.

عندما يجري البحث بمواضيع التجارة والعولمة في الكونغرس الأميركي وفي وسائل الإعلام الأميركية، يتركز الاهتمام بالكامل على وجه التقريب على التأثير الاقتصادي في الوطن، أي على الإنتاج الصناعي، والوظائف، والأجور لكن التجارة تعني أكثر من تصدير فول الصويا والعِدد الآلية. فهي تتعلق أيضاً بتصدير الحرية والديمقراطية.

منذ 11 أيلول/سبتمبر 2001، عبرت إدارة الرئيس بوش بالتفصيل ماهية الجدال القائل ان التجارة تستطيع، ويجب عليها، ان تقوم بدور في تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في باقي العالم. في خطاب ألقاه في نيسان/أبريل، 2004، قال الرئيس بوش: «التجارة تولّد عادات الحرية»، وهذه العادات «تبدأ بتوليد الأمل بالديمقراطية والمطالبة بإنشاء مؤسسات ديمقراطية افضل. تصبح المجتمعات المفتوحة أمام التجارة عبر حدودها القومية اكثر انفتاحاً تجاه الديمقراطية داخل حدودها.»

التجارة، والتنمية، والإصلاح السياسي

ليس كلاماً استهلاكياً، فمن الناحية النظرية كما في الممارسة الفعلية تدعم الحريات الاقتصادية والسياسية إحداهما الأخرى. لاحظ الفلاسفة السياسيون من أرسطو حتى صموئيل هنتنغتون أن بإمكان التنمية الاقتصادية والطبقة المتوسطة المتوسعة أن توفّر تربة أكثر خصوبة لنمو الديمقراطية.

تستطيع التجارة والعولمة توفير التحفيز للإصلاح السياسي من خلال توسيع نطاق حرية الناس للتحكم أكثر في حياتهم اليومية. في الدول الأقل نمواً، يعني توسيع الأسواق انتفاء الحاجة إلى رشوة أو استعطاف المسؤولين الحكوميين للسماح لهم باستيراد جهاز تلفزيون أو قطع غيار لجرارهم. فلا تبقى قوانين الرقابة على صرف العملات الأجنبية تقيد حريتهم في السفر إلى الخارج. ويستطيعون الحصول بسهولة اكبر على وسائل الاتصالات كالهواتف النقالة، والوصول إلى الإنترنت، شبكات البث التلفزيوني بالكيبل، وأجهزة الفاكس.

وبصفتهم عمالا ومنتجين، يعتمد الناس في البلدان الأكثر انفتاحاً بمقدار اقل على السلطات لتأمين معيشتهم. فعلى سبيل المثال، في بلد اكثر انفتاحاً تقود فيه الأسواق الحرة الاقتصاد لن تبقى الحكومة قادرة على منع الصحف المستقلة من نشر الأخبار إن هي أغضبت السلطات الحاكمة. وفي اقتصاد ومجتمع اكثر انفتاحاً، فإن ما يسمى «بتأثير سي ان ان» لووسائل الإعلام العالمية وتنبه المستهلكين يكشف إساءة معاملة العمال ويُثني عنها. يصبح لدى الشركات المتعددة الجنسيات العاملة في بلدان نامية الأكثر عولمة حوافز أكبر لتقديم فوائد وأجور تنافسية اكثر من تلك المعتمدة في بلدان مغلقة.

تساعد بدورها الحرية الاقتصادية والمداخيل المتزايدة في تغذية طبقة متوسطة، متعلمة، وواعية سياسياً أكثر. إن صعود طبقة من أصحاب الأعمال والمجتمع المدني الأكثر ثراءً تخلق القادة ومراكز النفوذ خارج نطاق الحكومة. فالناس المتحررون اقتصادياً سوف يطالبون بمرور الزمن كما أنهم سوف يتوقعون ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية كذلك. بالمقابل فإن الحكومة القادرة على عزل مواطنيها عن بقية العالم تستطيع بسهولة اكبر السيطرة عليهم وحرمانهم من الموارد والمعلومات التي يستطيعون استعمالها لتحدي سلطتها.

إن تطبيقات السياسة الخارجية الأميركية تعني ان بإمكان التجارة والتنمية، سوية مع فوائدهما الاقتصادية، ان تثبت انهما أداتان قويتان لتوسيع الحريات والديمقراطية حول العالم.

ديمقراطية متزايدة

كما قد تتوقعه النظريات، فإن التجارة، والتنمية، والحرية السياسية والمدنية تبدو على أنها مرتبطة ببعضها البعض في العالم الحقيقي. من الممكن لكل الناس الموافقة على ان العالم اصبح أكثر عولمة مما

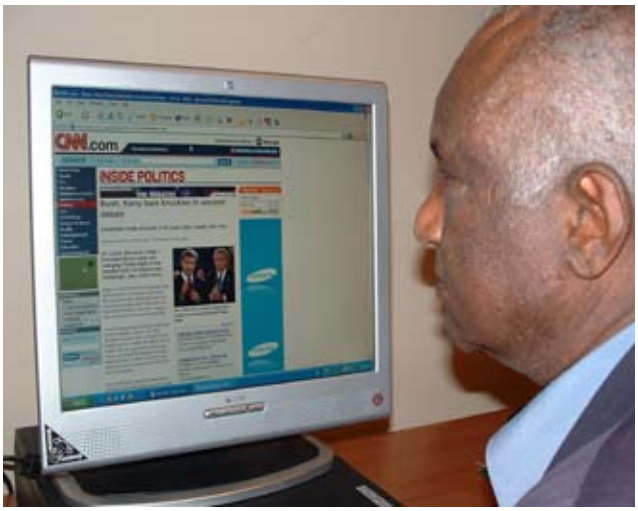

ANTHONY MITCHELL ©AP/WWP

في تشرين الأول/أكتوبر 2004، يقوم مصدّر الجلود غيرما هاغوس بقراءة الأنباء على شبكة الإنترنت في أديس أبابا لمتابعة أخبار الانتخابات العامة الأميركية الوشيكة الحدوث. (أنثوني ميتشيل/ آسوشييتد بريس)

كان عليه قبل 30 عاماً، لكن ليس هناك نفس التقدير المنتشر بأن العالم صار أكثر ديمقراطية مما كان عليه قبل 30 عاما. استناداً إلى احدث استطلاع أجرته مؤسسة فريدوم هاوس، فقد ازدادت بقدر كبير خلال العقود الثلاثة الماضية، نسبة سكان العالم الذين يتمتعون بحريات سياسية ومدنية كاملة، كما أمسى عدد الحكومات التي أصبحت ديمقراطية 50 دولة في العالم.

في تقريرها الاستطلاعي السنوي، الصادر في كانون الأول/ ديسمبر 2005، أفادت منظمة الأبحاث هذه حول حقوق الإنسان، أن نسبة 46 بالمئة من سكان العالم يعيشون الآن في بلدان صُنّفت على أنها «حرة» حيث يتوفر للمواطنين فيها التنافس السياسي المفتوح، وجو من الاحترام للحقوق المدنية، وحياة مدنية مستقلة إلى حد كبير، ووسائل إعلام مستقلة». بالمقارنة مع ذلك لم تكن هناك نسبة تزيد عن 35 بالمئة من سكان العالم تتمتع بمستوى مماثل لهذا من الحريات في عام 1973. هبطت نسبة السكان القاطنة في بلدان «غير حرة»، أي التي تُقمع فيها بصورة منتظمة الحريات السياسية والمدنية، خلال نفس المدة من 47 بالمئة إلى 36 بالمئة. وبقيت نسبة السكان في البلدان المصنفة «حرة جزئيا» على حالها عند 18 بالمئة. وفي هذه الأثناء بلغت النسبة المئوية للحكومات التي تعتبر ديمقراطية في العالم إلى 64 بالمئة، وهي أعلى نسبة سجلتها استطلاعات فريدوم هاوس خلال السنوات الثلاث والثلاثين من وجودهم.

والى حد كبير بفضل رياح التحرير المتولدة من نظام العولمة، يعني الازدياد البالغ 11 بالمئة في السكان في العلم خلال العقود الثلاثة الماضية الذين يعيشون في دول مصنفة على أنها «غير حرة» إلى دولة «حرة» ان حوالي 650 مليون شخص إضافي أصبحوا يتمتعون اليوم بنوع الحريات المدنية والسياسية التي تعتبر المسلم بها في بلاد كالولايات المتحدة، واليابان، وبلجيكا بدلاً من العذاب تحت شكل من أشكال الاستبداد الذي لا زلنا نراه في الدول الأكثر قمعاً لهذه الحريات.

تبدو الحريات الاقتصادية والسياسية ضمن البلدان الإفرادية على أنها مرتبطة أيضاً ببعضها البعض. وجدت دراسة أجراها معهد كاتو، حملت عنوان « استبدال الاستبداد بالحرية»، ان هناك احتمالا أكبر في ان تكون البلدان المنفتحة نسبياً بوجه الاقتصاد العالمي ديمقراطية تحترم الحريات المدنية والسياسية، اكثر من تلك المغلقة نسبياً. وانه من المحتمل اكثر ان تحظى البلدان المغلقة نسبياً، بصورة منتظمة، الحريات المدنية والسياسية بمقدار أكبر من البلدان المفتوحة.

من الإصلاح الاقتصادي إلى الإصلاح السياسي

خلال العقدين الماضيين، سار عدد من الاقتصادات في طريق الإصلاح الاقتصادي والتجاري المؤدي إلى الإصلاح السياسي. كانت كوريا الجنوبية وتايوان حتى الثمانينات من القرن الماضي ترزح تحت حكم أنظمة استبدادية لا تسمح بالكثير من المعارضة العلنية. اما اليوم، وبعد سنوات من التوسع التجاري والمداخيل الصاعدة، أصبحت كلا الدولتان بلدين ديمقراطيين بأحزاب سياسية متعددة، تمنحان الحريات السياسة والمدنية لمواطنيهما. تشمل لائحة البلدان التي اتبعت بنشاط هذين المسارين المزدوجين في الإصلاح كل من

تشيلي، غانا، المجر، المكسيك، نيكاراغوا، باراغواي، البرتغال، وتنزانيا.

بكلمات أخرى، تجد حكومات تمنح مواطنيها قدراً كبيراً من الحرية للمشاركة في التجارة الدولية انه من الصعب عليها أكثر فأكثر، أن تحرمهم من الحريات السياسية والمدنية. في حين ان الحكومات التي «تحمي» مواطنيها خلف جدران من الرسوم الجمركية وحواجز أخرى للتجارة الدولية تجد ان من السهل اكثر حرمان هؤلاء المواطنين من نفس هذه الحريات. وبالطبع، لن تكون العلاقة المتبادلة بين الانفتاح الاقتصادي والحرية السياسية عبر البلدان كاملة بالتمام لكن لا يمكن إنكار الاتجاهات العامة في هذا السياق.

إن تطبيقات السياسة الخارجية الأميركية تعني ان بإمكان التجارة والتنمية، سوية مع فوائدهما الاقتصادية، ان تثبت انهما أداتان قويتان لتوسيع الحريات والديمقراطية حول العالم.

فمثلا، في الصين القارية، يوفّر الإصلاح الاقتصادي والعولمة السبب للأمل بتحقيق إصلاحات سياسية لديها. فبعد 25 سنة من الإصلاح الاقتصادي والنمو السريع أصبحت هناك طبقة متوسطة تتوسع لأول مرة الاستقلالية في امتلاك المنازل، والسفر إلى الخارج، والتعاون مع الغير في مشاريع اقتصادية متحررة من الرقابة الحكومية. ارتفع عدد خطوط الهاتف الثابت، والهاتف النقال، ومستعملي شبكة الإنترنت بدرجة هائلة خلال العقد الماضي، ويسافر الملايين من الطلاب والسياح الصينيين سنوياً إلى الخارج. ولا يمكن أن يُشكّل ذلك سوى أنباء جيدة لمستقبل الحرية الفردية في الصين. مع توليد مشكلة متنامية للحكومة.

كما يمكن للتجارة الحرة والعولمة ان تلعبا دوراً في تشجيع الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط. في خطاب ألقاه

KAMRAN JEBRELI ©APWWP

يركب كامل، الفارس الآلي (الروبوت)، جمل سباق في السباق التجريبي في الدوحة، بقطر في نيسان /أبريل 2005. تنوي قطر استبدال الفرسان الأطفال التقليديين بالروبوتات. (كامران جبريلي/ آسوشييتد بريس)

في أيار/مايو2003، رسم فيه الخطوط العريضة لخطته حول إنشاء منطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط، قال الرئيس بوش، «يملك العالم العربي تراثاً ثقافياً عظيماً، لكنه يتخلف كثيراً عن ركب التقدم الاقتصادي في عصرنا. لقد ساعدت الأسواق الحرة والتجارة الحرة عبر كامل الكرة الأرضية في دحر الفقر، وعلّمت الرجال والنساء عادات الحرية.»

CASSANDRA VINOGRAD ©APWWP

فتى تحرر من عقد استخدامه في الأشغال الشاقة، في أحد مراكز إعادة التأهيل في آكرا بغانا. يذكر أن مئات الأطفال أنقذوا مثله في السنوات القليلة الماضية من العمالة القسرية، بفضل الاهتمام الدولي. (كساندره فينوغراد / آسوشييتد بريس)

يغذي الركود الاقتصادي في الشرق الأوسط الإرهاب، ليس بسبب الفقر فحسب بل أيضاً بسبب غياب الفرص والأمل بمستقبل افضل، وبالأخص بين الشباب. فالشبان الذين لا يتمكنون من إيجاد عمل مفيد، ولا يستطيعون المشاركة في العملية السياسية يشكلون غنائم سهلة ناضجة للمتعصبين الدينيين ولمجندي الإرهابيين. يجب ان يتَرافع أي جهد لتشجيع إيجاد حرية اكبر في الشرق الأوسط برنامج عمل لتعزيز الحرية الاقتصادية والانفتاح.

المستقبل

على المستوى المتعدد الأطراف، قد تخلق الاتفاقية الناجحة مع منظمة التجارة الدولية الجو المؤاتي عالمياً للديمقراطية وحقوق الإنسان. فمن خلال فتح أسواقها المغلقة نسبياً وكسب زيادة إمكانية الولوج إلى أسواق الدول الغنية، تستطيع البلدان الأقل نمواً تحقيق معدلات أعلى من النمو وتنمية الطبقة المتوسطة المتوسعة والتي تُشكّل العمود الفقري لمعظم الديمقراطيات. قد يزيد التوصل إلى اتفاقية ناجحة خلال دورة التنمية في الدوحة التي تنظمها منظمة التجارة العالمية، والتي بدأت أعمالها في العام 2001 من تقوية الاتجاهين المزدوجين لكل من العولمة ونشر الحريات السياسية والمدنية التي شكلا معالم السنوات الثلاثين الماضية. فالفشل في تحقيق النجاح قد يؤخر ويُحبط التقدم على كلا الجبهتين لملايين البشر.

خلال العقود الثلاثة الماضية سارت العولمة، وحقوق الإنسان، والديمقراطية معاً إلى الأمام، مع حالات تعوّق، حيث لا تسير كل هذه الأشياء دوماً معا وفق نفس الإيقاع، لكن بطريقة تظهر دون أي شك بأنها مترابطة. فمن خلال تشجيع العولمة في الدول الأقل نمواً لا نساعد على رفع معدلات النمو والمداخيل، وفي تعزيز مستويات معيشة أعلى، وفي تأمين الغذاء والملبس والمسكن للفقراء، فحسب بل وننشر أيضاً الحريات السياسية. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

عولمة الجريمة والإرهاب

لويز شيلي

لويز شيلي، أستاذة في كلية الخدمات الدولية في الجامعة الأميركية، ومؤسسة ومديرة لمركز الجريمة والفساد عبر الدول في الجامعة الأميركية في واشنطن، العاصمة، خبيرة رئيسية في الجريمة والإرهاب، ومؤلفة كتاب «ضبط المجتمع السوفياتي» (Policing Soviet Society)، وكتاب «الجريمة والتحديث» (Crime and Modernization)، بالإضافة إلى كتابتها مقالات عديدة وفصولا في كتب حول كافة أوجه الجريمة التي تتخطى الحدود القومية.

في نهاية القرن العشرين، برزت ظاهرة جديدة تمثلت في قيام العولمة المتزامنة مع الجريمة، والإرهاب، والفساد، ذلك «الثالوث غير المقدس» الذي أصبح يظهر في كافة أنحاء العالم. فيمكن إيجاده في أفقر بلدان أميركا اللاتينية وأفريقيا، وكذلك في قلب أوروبا المزدهرة. تعمل مجموعات الجريمة والإرهاب بالترافق وتسهل عملها ظاهرة الفساد، منطلقة من منطقة الحدود الثلاثية في أميركا اللاتينية (البرازيل-الأرجنتين-الباراغوي) إلى مناطق النزاعات الإقليمية في غرب أفريقيا والاتحاد السوفياتي السابق، والى سجون أوروبا الغربية. تتقاطع الجريمة والإرهاب أيضاً في استراليا، وآسيا، وأميركا الشمالية كما تدل على ذلك القضايا الإجرامية التي توثّق هذا المزيج الواسع من نشاطاتهما.

لكن هذا الثالوث غير المقدس أكثر تعقيداً من مجرد توجّه الإرهابيين نحو الجريمة لدعم نشاطاتهم، أو من مجرد الزيادة الدولية لتدفق السلع الممنوعة. فهو بالأحرى ظاهرة مميزة بذاتها تعمل فيها شبكات الجريمة المعولمة مع الإرهابيين، ويتمكن كلاهما من تنفيذ نشاطاتهما بنجاح يساعدهما في ذلك الفساد المستوطن.

يستند التمييز المصطنع بين الجريمة والإرهاب إلى فكرة ذهنية بالية. فالقول الذائع إن المجرمين يمارسون الجريمة لمجرد الربح المادي، وأن الإرهابيين يعملون بصورة حصرية لتحقيق أهداف سياسية، يكذبه الواقع المعاصر لهاتين المجموعتين. فالمجرمون لا ينتمون اليوم إلى منظمات تخضع لسلطة هرمية لا تُشكّل تهديداً للدولة بالذات، كما كان ذلك صحيحاً بالنسبة للمافيا الصقلية أو الياكوزا اليابانية. والإرهابيون، كثيراً ما أصبحوا يتنقلون بدعم من الجريمة، ما بين هويتي الإجرام والإرهاب. تسمح هيكليات شبكات كليهما بالارتباط، عن وعي أو بدونه، بهوية احدهما الآخر. فقد تعمل المجموعتان مباشرة سوية أو قد تتصلان من خلال مسهلين بينهما. ففي لوس انجلوس، على سبيل المثال، منحت كلية تعليم اللغة نفسها إلى بعض الخاطفين المتورطين في أحداث 11/9 تأشيرات دخول وزودت كذلك تأشيرات دخول أيضاً إلى مومسات تابعات لعصبة رئيسية لتهريب البشر. وبدورها، انخرطت هذه الحلقة في تجارة بطاقات الهوية المسروقة التي يمكنها تسهيل نشاطات الإرهابيين.

بعكس الرأي القائل ان كل ذلك نتج عن العولمة، فإن الجريمة المنظمة والإرهاب كان لهما نشاط تاريخياً عابراً لحدود الدول. في الثلاثينات من القرن الماضي، كان أعضاء عصابات المافيا الإيطالية في الولايات المتحدة يسافرون إلى كوبيه في اليابان والى شنغهاي في الصين للحصول على المخدرات، وكان يلجأ أعضاء من مختلف عصابات الإجرام الأميركية إلى الصين لتجنّب وصول السلطات الأميركية المختصة بفرض تطبيق القانون إليهم. كما وجد أعضاء منظمة الجيش الجمهوري الأيرلندي ملجأ آمناً في كنف

الجاليات الأيرلندية في الخارج التي وفرت كذلك الدعم المالي لهذه المنظمة في أيرلندا.

إلاّ أن الجديد اليوم، هو سرعة وتكرار تفاعلاتهم المتبادلة، وكثافة التعاون بين هذين الشكلين من الجريمة العابرة للحدود القومية.

طور كل من المجرمين والإرهابيين شبكات تتخطى الحدود القومية، فوزعوا نشاطاتهم، وخططهم، ولوجستياتهم عبر عدة

BEN CURTIS ©APWWP

عمال مناجم يغربلون الأطباق بحثاً عن الألماس في شمال شرق سيراليون بالقرب من الحدود الغينية في حزيران/يونيو 2004. حظّرت الأمم المتحدة تصدير الألماس من سيراليون من عام 2000 إلى حزيران/يونيو 2003 نظراً لأن «ألماس الحروب» استعمل لتمويل المعارك القاتلة الجارية في تلك المنطقة. (بن كورتيس/ آسوشييتد بريس)

قارات، مربكين بذلك الأنظمة القانونية للدول التي تُستخدم كأداة لمكافحة أنماط الجريمة العابرة للحدود القومية في كافة تبدلاتها المتعددة. يُعتبر المجرمون الذين يتخطون الحدود القومية من المستفيدين الرئيسيين من العولمة. فالإرهابيون والمجرمون ينقلون الناس، والأموال، والسلع عبر عالم أمسى التدفق المتزايد للناس، والأموال، والسلع فيه يوفر غطاءاً ممتازاً لنشاطاتهما. اعتمد الإرهابيون ومجموعات الجريمة العابرة للحدود القومية على نظام العولمة للوصول إلى أسواقهم ولتدويم أفعالهم وللتهرب من الاكتشاف.

صلة العولمة

عولمت الجريمة المنظمة الدولية نشاطاتها لنفس الأسباب الذي تدفع شركات مشروعة متعددة الجنسيات إلى عولمة أعمالها. وتماماً كما تُنتج شركات متعددة الجنسيات فروعاً لها حول العالم للاستفادة من الأيدي العاملة الرخيصة أو من أسواق المواد الأولية، كذلك تفعل مؤسسات الأعمال غير المشروعة. أبعد من ذلك، تُنشئ أيضاً مؤسسات الأعمال، المشروعة منها وغير المشروعة، مراكز لها عبر العالم لتلبية حاجات الإنتاج، والتسويق، والتوزيع. تستطيع مؤسسات الأعمال غير المشروعة أن تتوسع جغرافيا للاستفادة من هذه الظروف الاقتصادية الجديدة بفضل الثورة في الاتصالات والنقل الدولي. وكذلك يُعولم الإرهابيون نشاطاتهم للاستفادة من القدرة على تجنيد الناس دولياً، وللبقاء بالقرب من جاليات المهاجرين المشتتين التي تستطيع دعمهم لوجستياً ومالياً، كما ليتمكنوا من اختراق المجتمعات الأكثر ثراءً.

كان لانتهاء الحرب الباردة تأثير هائل على بروز الجريمة العابرة للحدود القومية. فمع نهاية المواجهة بين القوتين العظميين، تقلص احتمال نشوب نزاع واسع النطاق. ولكن، منذ أواخر ثمانينات القرن الماضي، حدث ارتفاع هائل في عدد النزاعات الإقليمية. لسوء الحظ، كثيراً ما تم ربط السلاح والقوى البشرية التي تنفذ هذه النزاعات بالنشاط الإجرامي العابر للحدود من خلال التجارة بالممنوعات: المخدرات، الألماس، والناس. ولّدت هذه النزاعات بدورها عدداً لا سابق له من اللاجئين وألحقت الأضرار بالاقتصادات المشروعة في مناطق هذه النزاعات التي أمست لاحقاً أراض خصبة لتجنيد الإرهابيين، أو ملاجئ آمنة لتخطيط العمليات الإرهابية وتدريب الإرهابيين.

التقدم التكنولوجي العظيم الذي تحقق خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ساعد بدرجة هائلة نمو النشاطات الممنوعة العابرة للحدود القومية. فنشوء حركة السفر الجوي التجاري، والتحسينات في أنظمة الاتصالات (بضمنها الهاتف، والفاكس، والاتصالات السريعة عبر الإنترنت)، ونمو التجارة الدولية سهلت جميعها الحركة الفعلية للسلع والبشر. يستغل المجرمون والإرهابيون سرية غرف الدردشة عبر الإنترنت لتخطيط وتنفيذ نشاطاتهم. استخدم إرهابيو 11/9 أجهزة كمبيوتر عامة لإيصال رسائلهم ولشراء تذاكر السفر الجوي مباشرة. بصورة مماثلة، استخدم مهربو المخدرات في كولومبيا اتصالات لاسلكية مرمزة لتخطيط وتنفيذ عملياتهم.

تقترن مع العولمة إيديولوجية الأسواق الحرة والتجارة الحرة وانحسار تدخل الدول في الشأن الاقتصادي. استناداً إلى دُعاة العولمة، سوف يؤدي هذا التقليل من القوانين والحواجز الدولية المقيدة لحرية التجارة والاستثمار، إلى زيادة التوسع التجاري والإنمائي. لكن هذه الظروف بالذات والتي تُعزز البيئة المعولمة، تكون حاسمة أيضاً لتوسع الجريمة. استغلت كل من عصابات الإجرام والإرهاب هذا التقليل الهائل في الأنظمة والتخفيف من وسائل مراقبة عبور الحدود، والحرية الأكبر الناتجة عن ذلك، لتوسيع نشاطاتهم عبر الحدود وللوصول إلى مناطق جديدة من العالم. وقد ازداد اليوم تكرار هذه الاتصالات وتسارعت ممارستها. ففي حين يخضع نمو التجارة المشروعة للتنظيم عبر الانصياع لسياسات مراقبة الحدود التي يرصدها موظفو الجمارك والأنظمة البيروقراطية، تستغل بحرية مجموعات الجريمة التي تتخطى الحدود القومية، منافذ التهرب المتوفرة في الأنظمة القانونية للدول، للتوسع في بسط نفوذها. يسافر المجرمون إلى مناطق لا يمكن فيها تسليمهم إلى حكوماتهم، وينشئون قواعد لعملياتهم في البلدان التي تكون أجهزة فرض تطبيق القانون فيها غير فاعلة أو مرتشية، ويبيّضون أموالهم في دول تتبع نظام سرية المصارف أو لا تُطبّق سوى عدد قليل من قوانين المراقبة

الفعالة. ومن خلال تجزئة عملياتهم يحصد المجرمون والإرهابيون فوائد العولمة، وفي نفس الوقت يقللون من مخاطر عملياتهم.

ازداد حجم التجارة العالمية بشكل هائل خلال النصف الثاني من القرن العشرين. كما ترافق مع التدفق المتعاظم للسلع المشروعة زيادة مرور السلع الممنوعة. يُشكّل إيجاد السلع الممنوعة من بين تدفقات السلع المشروعة تحدياً حقيقياً. فهناك نسبة صغيرة جداً من سفن الحاويات فقط تخضع لتفتيش شحناتها، الأمر الذي يُسهل نقل المخدرات، والسلاح، والسلع المهربة. وهكذا، يمكن نقل المخدرات على سفن سمك التونا لتجنّب اكتشافها بسهولة، كما يمكن استغلال تجارة العسل لنقل الأموال وتوليد الأرباح لمنظمة القاعدة في نفس الوقت.

شهدت العقود الأخيرة تصاعداً في أشكال عديدة من الجريمة المعولمة. كانت تجارة المخدرات أول قطاع للممنوعات يحقق أقصى الأرباح في عالم معولم. حقق المجرمون أرباحاً هائلة من المتاجرة بالمخدرات، واستخدمت مجموعات إرهابية عديدة تهريب المخدرات كمصدر هام لتمويل عملياتها. لكن، بعد ان ازدادت المنافسة في سوق المخدرات، وتعززت أساليب فرض تطبيق القانون الدولي لمكافحتها، انخفضت الأرباح بسبب المنافسة والمخاطر المتزايدة، وكانت النتيجة ان استغل العديد من المجرمين والإرهابيين أشكالاً أخرى من الجريمة سهّل تنفيذها الاقتصاد المعولم. استفاد المجرمون والإرهابيون بالتالي مالياً من ازدياد التجارة بالأسلحة وعمليات تهريب البشر. كما حصلت زيادة هائلة في التجارة غير الشرعية بأجناس الحيوانات المعرضة للخطر، بالنفايات الخطرة، بالأعمال الفنية والآثار المسروقة، بالسلع المزيفة، وبالجريمة المعولمة المتصلة ببطاقات الائتمان. تستغل كل من الجريمة المنظمة والإرهابيين كافة هذه النشاطات، وفي بعض الأحيان حتى بصورة مترادفة لكليهما.

كذلك، تطورت صناعة من الخدمات الرئيسية لتوفير خدمة لكافة فئات المجرمين الذين يتخطون الحدود القومية. تشتمل هذه الخدمات على مزودي الوثائق المزورة، ومبيضي الأموال، وحتى مهنيين من المستوى العالي يقدمون خدمات قانونية، ومالية، ومحاسبية إلى كلا المجموعتين. يتبيّن هذا الاتجاه من الحقيقة الظاهرة في محاكمة بنك ريغز في واشنطن العاصمة، الذي شملت لائحة زبائنه القانونيين رؤساء أميركيين والعديدين من أفراد المجتمع الدبلوماسي في العالم، والذي تمّت مقاضاته لقيامة بتبييض الأموال لديكتاتور غينيا الاستوائية ولتسهيله لعمليات تحويل الأموال إلى إرهابيين، فحُكم عليه بدفع غرامة مقدارها 25 مليون دولار. تُبيّن هذه القضية ان نشاطات المجرمين والإرهابيين لا تبقى دائماً ضمن نطاق اقتصاد الظل، بل تتقاطع في أحيان كثيرة مع النظام الاقتصادي المشروع.

اعتمد الإرهابيون ومجموعات الجريمة العابرة للحدود القومية على نظام العولمة للوصول إلى أسواقهم ولتدويم أفعالهم وللتهرب من الاكتشاف.

SHAKIL ADIL ©AP/WWP

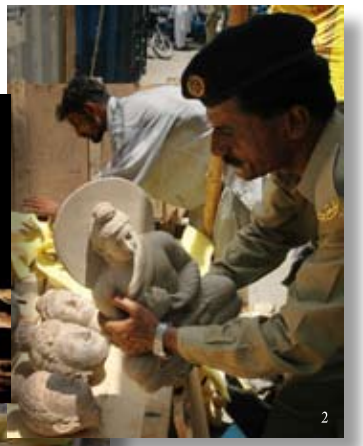

JESUS ALFONSO ©AP/WWP

DAVID LONGSTREATH ©AP/WWP

ماذا يمكن عمله؟

ينبغي إحداث تبديل أساسي في المثال المتبع لطريقة مقاربتنا للأمن الدولي. فالاستمرار في اعتماد التوصيفات المصطنعة والمتهالكة التي تقول إن المجرمين لا يحفزهم إلاّ الربح، وإن الإرهابيين لا تحفزهم سوى الدوافع السياسية أو الدينية، هو ما يؤدي إلى فشل صانعي السياسة وهيئات فرض تطبيق القانون وواضعي الخطط الاستراتيجية العسكرية، بوجه عام، في التعامل بشكل فعال مع الظاهرة الجديدة لشبكات الجريمة المتخطية للحدود القومية.

الصور

1- ضباط شرطة يتحققون من وصول 200 كيلوغرام من الكوكايين صودرت في غواتيمالا في تشرين الثاني/نوفمبر 2005. (خيسوس ألفونسو/ آسوشييتد بريس)

2- موظف جمارك باكستاني يفحص بعضاً من حوالى 1500 قطعة أثرية، وتساوي ملايين الدولارات، صودرت في كراتشي في حزيران/يونيو 2005. وقد ألقي القبض على المهرب.

3- تمّ عرض جلد نمر وأعمال فنية أخرى خلال مؤتمر الأمم المتحدة حول المتاجرة الدولية بأنواع الحيوانات البرية المعرضة للخطر الذي عقد في بانكوك، بتايلنده في تشرين الأول/أكتوبر 2004.

يجب ان تبتعد الدول والمؤسسات المتعددة الأطراف عن المثال الأمني الذي ساد خلال فترة ما بعد الحرب الباردة، والذي يعتبر النزاعات بين الدول القومية بمثابة التهديد الرئيسي للأمن الدولي، ويفترض، بناءً على ذلك، ان الدول قادرة على التحكّم بالأمن الدولي. فعلى سبيل المثال، قد تكون استراتيجية التحكم بانتشار أسلحة الدمار الشامل من خلال احتجاز المواد اللازمة لصنعها مصممة بصورة رائعة لكن يشوبها خطأٌ مُهلك، لأنه بدون معالجة التهديدات الإضافية التي يطرحها الانتشار المستشري للفساد، ولعمليات الشبكات الإجرامية والإرهابية فقد تولّد الدول شعوراً زائفاً بالأمن.

تتطلب معالجة مسألة تقاطع كل من الجريمة والإرهاب والفساد ضمن البيئة العالمية، معالجة البيئة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي تولد وتساند هذه الظاهرة. ترتبط كل من تلك الشرور الثلاثة بالمشاكل العميقة العائدة لاختلال التوازنات الاقتصادية بين البلدان، وللحكومات المستبدة، ولغياب فرص العمل في العديد من مناطق العالم. إن على الحل القابل للحياة أن يدرك ويتعامل مع الشعور بالحرمان من الحقوق الذي يدفع إلى القيام بالكثير من الأعمال الإرهابية، بالأخص بين السكان المسلمين. إن توفر فرص العمل ووسائل تأمين سبل العيش أمران حاسمان بالنسبة للعديد من الناس في العالم النامي، ولكي لا يبقى، على سبيل المثال، المزارعون في أفغانستان وأميركا اللاتينية معتمدين على زراعة المخدرات لإعالة عائلاتهم.

كثيراً ما تعتبر الجريمة كمسألة هامشية للإرهاب. فمنذ 11 أيلول/سبتمبر 2001، تحولت موارد عديدة في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان عن عمليات مكافحة الجريمة العابرة للحدود القومية إلى عمليات مكافحة الإرهاب. قد يكون هذا التصرف خاطئًا بالنسبة للقوات المسلحة ولمجتمعات الاستخبارات، ولغيرها. فالحاجة لمحاربة الجريمة ليست مسألة هامشية بل أنها قضية مركزية بالمطلق للحرب ضد الإرهاب. ربما كان بالإمكان إفشال عمل الإرهابيين الذين فجروا قطارات الركاب في مدريد في 11 آذار/مارس 2004 لو كانت سلطات السجون مدركة لما يجري التخطيط لتنفيذه في داخل مرافقها.

الحاجة لمحاربة الجريمة ليست مسألة هامشية بل أنها قضية مركزية بالمطلق للحرب ضد الإرهاب

هناك مثال عن الاستراتيجية الناجحة المتبعة ضمن دائرة الشرطة في لوس انجلوس، التي تدمج جهود قوات الشرطة المحلية مع جهود قوات تطبيق القانون الفدرالية. فمن خلال توحيد التحليل الخبير مع عمل الشرطة التقليدي، والمتابعة الوثيقة للنشاط الإجرامي داخل مجتمعاتها، حققت دائرة الشرطة في لوس انجلوس نجاحاً باهراً في تمزيق النشاط الإرهابي المحتمل، كما التنظيمات التي تمول وتسهل الإرهاب. من خلال العمل التقارني والتخفيف من الحواجز البيروقراطية، تمكن رجال الشرطة في لوس انجلوس من مكافحة الإرهاب دون استعمال أي أدوات قانونية خاصة، ودون ارتكاب أي انتهاكات للحقوق القانونية للناس.

إذا استمر صعود التهديد الصادر عن فاعلين من خارج الدول، كالمجرمين والإرهابيين الذين يتخطون الحدود القومية خلال العقود القادمة، فسوف نحتاج في المستقبل إلى قيام تعاون دولي اعظم، والى قوانين اكثر انسجاماً، والى تشاطر أكبر للمعلومات الاستخبارية. وعند تطبيق سياسة مضادة للجريمة والإرهاب العابرين للحدود القومية، يتوجب علينا، بالترافق مع ذلك، احترام حقوق الإنسان وتجنب إجراءات تؤدي إلى تعزيز الراديكالية وتغذية الإرهاب. سوف تحدد طريقة إدارتنا لهذه الإزاحة للنموذج القائم بحيث نرى ونعامل المجرمين، والإرهابيين، والفاسدين على أنهم متصلون ببعضهم البعض، مدى نجاحنا في إنقاذ فوائد العولمة من سوء الاستخدام الخطر لها في حلبة الأمن الدولي. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

الرابط العالمي للصحة

بقلم دي آي هندرسون

الدكتور دي آي هندرسون، أستاذ الطب والصحة العامة في جامعة بيتسبرغ، باحث مُقيم في مركز الأمن البيولوجي، مستشار لدى وزارة الصحة والخدمات الإنسانية حول الاستعداد لمواجهة الحالات الطارئة للصحة العامة، وسابقاً المسؤول الطبي الرئيسي عن القضاء على داء الجدري في منظمة الصحة العالمية.

في خلال السنوات العشرين الماضية تمّ اكتشاف عدد مذهل من الأمراض المعدية الجديدة، بعضها يصيب بلداً واحداً أو عدداً قليلاً من البلدان فقط، في حين انتشر مرض الإيدز بعناد ليصبح في نهاية المطاف وباءً عالمياً، والمُسبب الرئيسي الرابع للوفاة في العالم. وبرزت أمراض أخرى جديدة أيضاً، كانت على الأقل 30 نوعاً من الأمراض الجديدة بمجملها. ومن الممكن توقع ظهور أمراض عديدة أخرى إذ أنّه، على مدى العقود الأخيرة، حصلت تغييرات ديموغرافية، وتكنولوجية، واجتماعية مثيرة بدّلت بدرجة ملحوظة احتمال انتقال المرض، ولا زالت هذه التغييرات تزداد انتشاراً بدرجة هائلة.

الأمر المثير أكثر لهواجس اليوم هو التهديد العالمي لوباء أنفلونزا الطيور، وهو نوع جديد من فيروس الأنفلونزا يُشكّل تهديداً خطيراً لكل بلد. يُظهر تهديد مرض أنفلونزا الطيور بوضوح كيف تستطيع ابتكارات التكنولوجيا العالمية أن تساعد في انتشار الأمراض، لكنه يُظهر أيضاً كيف يمكن للتعاون العالمي أن يقود إلى اتخاذ إجراءات مُضادة فعّالة ضد الأمراض. حالات تفشي الأنفلونزا تتكرر عادةً كل سنة عبر العالم، ورغم كون هذه الحالات قادرة على التسبب بمرض خطير، وبوفاة المتقدمين في السن، والمصابين بمرض مزمن في الرئة أو في القلب، فلا يعاني مُعظم المصابين إلاّ من حمّى طفيفة وأعراض تنفسية لمدة أسبوع أو ما يقرب من ذلك. لكن كل 30 سنة تقريباً كانت تظهر سلالة جديدة ومختلفة من الأنفلونزا، وتتفشى عبر العالم مسببة وباءً منتشراً.

تهديد أنفلونزا الطيور

حدث أحد أخطر هذه الأوبئة عام 1918، عندما ظهر نوع جديد من فيروس الأنفلونزا أثبت أنه كان قاتلاً بدرجة أكبر بكثير من الفيروسات التي سبقته. نتج عن هذا الوباء موت ما لا يقل عن 50 مليون شخص عبر العالم. في عام 1997 أُثيرت من جديد الهواجس بشأن احتمال حصول وباء ذي خطورة مماثلة عند اكتشاف سلالة جديدة، أشد تهديداً من فيروس أنفلونزا الطيور في هونغ كونغ. (تمّ تحديد هذه السلالة على أنها من نوع H_5N_1 من فيروس أنفلونزا الطيور) كانت هذه السلالة قاتلة بدرجة استثنائية للطيور، وبالأخص الدجاج، كما أصابت 18 شخصاً توفي ستة منهم. لم تُحدث سلالة فيروس أنفلونزا أبداً في السابق هذه النسبة العالية من الوفيات بين البشر. حصلت جميع هذه الحالات بين العاملين لدى دجاج مصاب.

ولحسن الحظ، في ذلك الوقت لم ينتشر المرض من إنسان إلى آخر. قتلت سلطات الصحة العامة ملايين الدجاج وبدا أن الفيروس اختفى. لكن، لسوء الحظ، ظهر هذا المرض من جديد بعد ست سنوات في الدجاج وبدأ ينتشر عبر جنوب شرق آسيا. نفق عشرات الملايين من الدجاج بسبب المرض، أو قتلوا في محاولة السيطرة على الانتشار اللاحق للفيروس. حصلت حوالي 150 إصابة بين الناس أدى نصف عددها تقريباً إلى الوفاة. كان كافة المصابين تقريباً من الذين لامسوا الطيور المريضة أو قدموا العناية الصحية إلى أحد المصابين بهذا المرض.

أصيبت الآن الطيور البرية بالعدوى. وبنتيجة الهجرة الموسمية لهذه الطيور، انتقل الفيروس إلى آسيا الغربية، أوروبا الشرقية وأفريقيا. ومع استمرار تفشي المرض يبرز قلق له ما يبرره حول احتمال أن يغير الفيروس طبيعته في أي وقت ويبدأ بالانتشار عبر الانتقال من إنسان إلى آخر. وبسبب الحجم الهائل في يومنا الحاضر للسفر الجوي، من المؤكد أنه سوف ينتشر عبر العالم خلال أسابيع.

عامل أبحاث يعرض لقاحات إنسانية لأنفلونزا الطيور في بكين، بالصين، في تشرين الثاني/نوفمبر 2005. (آسوشييتد بريس)

يجب أن يتوفر لقاح لحماية الإنسان من هذا المرض. لكن من أجل أن يكون اللقاح فعالاً يجب أن يماثل إلى حد بعيد الفيروس القادر على الانتقال من بشري إلى بشري، مع أن هذه السلالة الفيروسية التي تستطيع مثل هذا الانتقال لم تظهر حتى الآن، حسب ما يعرفه العلماء. وهكذا يجري الآن تنفيذ جهد دولي مكثف يشمل المختبرات، مسؤولي الصحة العامة، والصناعة للحصول، بأسرع وقت ممكن، على الفيروس حالما يبدأ بالانتشار عبر الانتقال من شخص إلى شخص، ولاستعمال مقاربات جديدة في إنتاج اللقاحات تُمكن إنتاج كميات كبيرة من اللقاح بسرعة.

تهديد الانفلونزا يحتاج الى المزيد من التعاون الدولي لمكافحة المرض واكتشاف التهديدات الممكن حدوثها، واينما وقعت.

الحاجة إلى تعاون عالمي

تدعو الحاجة إلى تحقيق هذا التعاون بصورة مستعجلة اليوم أكثر من أي وقت مضى في التاريخ. في عالم الجراثيم تتكاثر باستمرار أنواع لا تحصى منها بمعدلات هائلة تكاد لا تصدق. كل نوع منها يتحول ويتكيّف ويتغيّر لتأمين بقائه. وتبرز بصورة حتمية من وقت إلى آخر جراثيم تملك خصائص مختلفة، بعضها قاتل بدرجة عالية للإنسان وبعضها يملك قدرة على النمو أو التفشي بصورة سهلة. في المجتمعات الزراعية حيث السكان موزعون، وكذلك في البلدات الصغيرة أو القرى، تتوفر فرصة أقل لهذه الجراثيم بالانتقال من إنسان إلى آخر، فما تلبث ان تموت بسرعة. حتى إذا حصل تفشي مهم لمرض جديد في منطقة أو بلد ما كثيراً ما يكون انتشاره اللاحق محدوداً بسبب التقييدات على السفر. فالسهولة التي نتمكن فيها من السفر عبر الكرة الأرضية قد تنشر أشد الأمراض خطورة، لكن التقدم في أنظمة الاتصالات قد تخدم أيضاً في تسهيل التعاون لإيجاد علاجات لها، أي من خلال الترابط العالمي للصحة.

واليوم، تطرح حالات وتفشيات الأمراض، مهما كانت أسبابها وحيثما تحصل، تهديداً على صحة الناس عبر العالم. لا تبعد أي مدينة رئيسية في العالم عن أية مدينة أخرى أكثر من 36 ساعة سفر بالطائرة. خلال عام 2003 نزل حوالي 642 مليون مسافر جوي في 750 مطاراً مختلفاً، في 135 بلداً. أثبتت وسائل المراقبة وعمليات التفتيش على الحدود، التي كانت شائعة في السابق، على أن لا قيمة لها في منع انتشار المرض، كما يظهر ذلك بوضوح خلال تفشي مرض الالتهاب الرئوي الحاد (السارس) عام 2003 تمّ في ذلك الحين الكشف الدقيق على أكثر من 35 مليون مسافر بهدف الحجر الصحي للمصابين منهم بالحمى. ولم يُعثر على أي حالة مرضية. فلو كان المسافرون قد أصيبوا بالعدوى فمن المحتمل جداً أنهم كانوا في مرحلة الحضانة. الصامتة للمرض، ولا يمكن تعيينه مهما كانت دقيقة إجراءات الكشف المستعملة. نعيش الآن في حركة من التحرك السكاني ذات شأن وبسرعة لم نشهدها أبداً في السابق.

يتعزز بدرجة كبيرة احتمال اكتساب عامل جرثومي جديد موطئ قدم بفعل النمو السريع للسكان في المدن. منذ فترة لا تزيد عن 50 سنة كانت هناك مدينتان فقط يزيد عدد سكانها عن 7 ملايين نسمة (نيويورك ولندن) وكانت نسبة 20 بالمئة من سكان العالم تعيش في مناطق مدينية. اما اليوم فهناك 30 مدينة يزيد عدد سكان كل واحدة منها عن 7 ملايين نسمة، وسبع من سكانها تزيد بالفعل عن 15 مليون نسمة. توجد مدن عديدة من هذه في مناطق استوائية وشبه استوائية حيث تُشكّل الكثافة السكانية، سوء التغذية، العناية الصحية القليلة، والتلوث البيئي خصائص مسيطرة. هذه هي الأراضي الخصبة عن حق لترسّخ مرض جديد.

يُشكّل تصنيع وتدويل المواد الغذائية سبباً رئيسياً آخر لنشر المرض. فقبل بضعة عقود فقط كانت معظم المنتجات الغذائية تُزرع محلياً في مزارع صغيرة، وتُحفظ أو تُعدّ للاستهلاك التجاري في مؤسسات صغيرة لم يشارك أكثرها في التجارة الدولية. وعند حصول تلوث عند أية مرحلة من هذه العملية كان عدد قليل فقط من الناس يتأثرون بذلك. لكن، مع إنتاج وتصنيع المواد الغذائية على نطاق واسع، وتوفّر إمكانيات التجليد والشحن الجوي للأغذية أصبح من الممكن أن يسبب التلوث عند أية مرحلة من مراحل سلسلة إنتاج الأغذية إلى التفشي المستفحل للأوبئة ليمتد عبر بلدان عديدة. تتوفر صورة صغيرة عن ذلك من حادثة حصول وباء الإسهال الحاد، الذي كان سببه كائن مجهري يعرف باسم شيغيلوزيس في آب /أغسطس 2003. ظهر المرض بسبب التلوث في مطبخ إعداد الأطعمة لشركة طيران في الولايات المتحدة. وقد تمّ تعيين حصول 241 حالة مَرَضية في المجمل، ولكن قُدّر أن حوالي 9 آلاف حالة حدثت بالفعل في 219 رحلة طيران مختلفة إلى 24 ولاية وأربع دول أجنبية.

وهناك عامل رئيسي آخر، نادراً ما يؤخذ في عين الاعتبار، يسهل تفشي المرض ألا وهو كثرة انتشار المستشفيات، بالأخص في بلدان ومناطق حيث تكون الموارد الاقتصادية مرهقة وحيث يندر توفر الموظفين التدريب المهني.

وهناك عامل رئيسي آخر، نادراً ما يؤخذ في عين الاعتبار، يسهل تفشي المرض ألا وهو كثرة انتشار المستشفيات، بالأخص في بلدان ومناطق حيث تكون الموارد الاقتصادية مرهقة وحيث يندر توفر الموظفين التدريب المهني. لا تتوفر في العديد من هذه المستشفيات أية وسائل لعزل مرضى ناقلين للعدوى، كما لا تتوفر سوى القليل من المعدات، أو أنها لا تتوفر مطلقاً، يتيح التعقيم الملائم للإبر والحقن كما للأدوات الجراحية. قد يؤدي ذلك إلى تفشي أمراض تتنقل عدواها بواسطة الدم. ومن المؤكد أن هذا العامل كان مساهماً هاماً في تفشي مرض الإيدز في بعض البلدان. وفي نفس الوقت، من المعتاد في مرافق العناية الطبية هذه أن تزور المريض أعداد كبيرة من أفراد عائلته وأصدقائه، قادمين من القرى والمدن الموزعة على مساحة واسعة جداً. ومن المألوف أن يُسبب ذلك انتشاراً وبائياً للمرض الذي يعاني منه المريض على امتداد مساحة واسعة من البلاد. تُشير التجارب الأخيرة إلى أن المستشفيات كانت الموقع الأولي للعدوى الوبائية بمرض الحصبة وأمراض نزف الدم، وكذلك تلك التي تسببها فيروسات لاسا، إيبولا، وماربورغ.

في هذا العصر المعولم، أصبحت صحة كل إنسان على وجه البسيطة مرتبطة بصحة كل فرد آخر. علينا أن ندرك كامل تداعيات هذه الحقيقة علماً أن مرض الإيدز ومرض أنفلونزا الطيور أثبتا أهميتهما في إبلاغ هذه الرسالة. هناك ضرورة لمحاربة أعراض الأمراض المُعدية حيثما تحصل على سبيل المثال، الوباء الذي ينتشر اليوم في أقصى المناطق النائية من أفريقيا أو الأميركيتين، قد يولد غداً حالات مرضية وربما حالات تفشّ للمرض في أي مكان آخر في العالم تقريباً. بعبارات عملية، شكل تبني الأنظمة الصحية الدولية لمنظمة الصحة العالمية، بعد تحديثها في أيار 2005، خطوة إيجابية نحو تنفيذ الأبحاث والتطويرات ومشاطرتها الضرورية للتعامل مع مشاكل الأمراض حيثما تحدث، ونحو تشكيل شبكات دولية فعالة للأبحاث والتثقيف بحيث يُتاح نقل وتطبيق النتائج والمشاهدات الهامة بسرعة أكثر وبفعالية أكبر. ■

شاب أفغاني يجلس في كابول، أفغانستان تحت راية كتب عليها «مرض الإيدز، مقاومته رغم الصعوبات، فذلك من مسؤولية الجميع.» (مصادق صادق/ آسوشييتد بريس)

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

تكييف الأنظمة الدولية لتُناسب عالماً أصغر

في 23 أيار/مايو 2005، وافق مجلس الصحة العالمية على أنظمة الصحة الدولية لأجل إدارة الحالات الطارئة في الصحة العامة ذات الأهمية الدولية. تمّ تكييف هذه الأنظمة الجديدة «لمنع، والحماية ضد، ومراقبة، وتأمين استجابة هيئات الصحة العامة لانتشار الأمراض دولياً»، استناداً إلى كلام منظمة الصحة العالمية. تعكس هذه الأنظمة أيضاً الطبيعة المُتغيرة للأمراض العالمية منذ تبنيها عام 1969.

قال مايك ليفيت، وزير الصحة والخدمات الإنسانية في حكومة الرئيس بوش، مُتحدثاً أمام مؤتمر الصحة العامة في 16 أيار/مايو، «إن تبنيّ الأنظمة المعدّلة سوف يُشكّل أداة فاعلة جداً في جهودنا للاستجابة للتحديات التي تطرحها التهديدات البيولوجية، الكيميائية، والإشعاعية على الصحة العامة، بغضّ النظر عما إذا كانت تحدث بصورة طبيعية، أو مُتعمدة، أو عرضية.»

استناداً إلى منظمة الصحة العالمية، صُممت الأنظمة الأصلية للصحة الدولية التي جرى تبنيها عام 1969 للمساعدة في رصد ومراقبة أربعة أمراض مُعدية خطيرة، الكوليرا، الطاعون، الحمى الصفراء، والجدري. تفرض الأنظمة الجديدة على الدول وجوب إبلاغ منظمة الصحة العالمية عند حصول أي حالات أو أحداث مَرضية «قد تُشكّل حالة طارئة للصحة العامة ذات اهتمام دولي». يجب أن تبلغ الدول عن أي أدلة تؤكد وجود أخطار على الصحة العامة خارج حدودها التي قد تُسبب الانتشار الدولي للمرض.

تُشدد الأنظمة المعدّلة على التزامات أوسع مدى لبناء القدرات القومية لاتخاذ إجراءات وقائية، كما لاكتشاف والاستجابة للحالات الطارئة على الصحة العامة ذات الاهتمام الدولي. تشمل هذه الإجراءات الروتينية تدابير الصحة العامة في المرافئ والمطارات والحدود الأرضية، وغير ذلك من وسائل النقل المستعملة للسفر الدولي.

وكما أشارت إليه منظمة الصحة العالمية، فإن الغرض من أنظمة الصحة الدولية هو تأمين الوقاية القصوى للناس من الانتشار الدولي للأمراض، وفي نفس الوقت التقليل إلى الحد الأدنى من تدخلها بقطاعي السفر العالمي والتجارة العالمية.

قال الدكتور غوينايل روديه، مدير دائرة رصد الأمراض المعدية والاستجابة لها، في منظمة الصحة العالمية، «كُتبت الأنظمة القائمة لعالم مختلف تماماً عن العالم الذي نعيش فيه اليوم. كان السفر الجوي ترفاً، وكان انتقال السلع والناس حول العالم بطيئاً نسبياً. اما اليوم فقد توسع السفر والتجارة إلى أبعد ما كانت تتوقعه الأنظمة الأصلية. تستجيب القواعد الجديدة إلى العالم المعولم، 24 ساعة في اليوم حيث يستطيع تفشي مرض في بلد ما الانتقال بسرعة حول العالم». ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

المصادر:

http://usinfo.state.gov/gi/Archive/2005/May/20-582917.html

http://www.who.int/mediacentre/news/releases/2005/pr_wha03/en/index.html

يقف زوجان أمام عرض لألفي شمعة أضيئت لذكرى ضحايا مرض الإيدز في كوبنهاغن، بالدانمارك، في اليوم العالمي لمكافحة مرض الإيدز. (جون ماكونيكو/ آسوشييتد بريس)

التعاون في مجال أنظمة الإنذار بالأعاصير مثل التسونامي

في خلال الأشهر الأربعة عشر منذ أن قتل الزلزال بقوة 9،15 درجة على مقياس ريختر وإعصار التسونامي الذي قتل أكثر من 200 ألف نسمة، وهجّر الملايين في ما يزيد عن عشرة بلدان في حوض المحيط الهندي، عملت هذه البلدان سوية مع شركائها الدوليين بجد عظيم للتأكد من أن الكوارث الطبيعية في المستقبل لن تحصد مثل هذا العدد من الضحايا. وأنشأت خططاً لإقامة نظام إنذار مبكر للمنطقة اتخذت شكلها عبر اجتماعات عقدت على امتداد العام 2005، في أماكن مختلفة وعكست اهتمام الشركاء الدوليين المساهمين العديدين، أي اليابان، فرنسا، هاواي، استراليا، ومؤخراً الهند.

في حيدر أباد، بالهند، حيث عُقدت الجلسة الثانية لمجموعة التنسيق بين الحكومات في اللجنة الدولية لعلوم المحيطات التابعة لمنظمة اليونيسكو لدراسة نظام الإنذار وتخفيف أضرار الإعصار تسونامي الذي ضرب المحيط الهندي. اجتمع ممثلون لعدة بلدان في حوض المحيط الهندي بين 14 و16 كانون الأول/ ديسمبر سوية مع مراقبين ومستشارين من ألمانيا، واليابان، والولايات المتحدة، ودرس المشاركون التفاصيل الفنية لنظام جديد لاكتشاف الأعاصير من نوع تسونامي والمخاطر الطبيعية الأخرى. بدأ يتخذ النظام الجديد شكله النهائي في كل من استراليا، الهند، إندونيسيا، ماليزيا، جزر المالديف، سريلانكا، تايلند، وبلدان أخرى حيث لم يسبق أن حدث إعصار بهذه الخطورة أبداً.

منذ حدوث التسونامي، قدمت بلدان عديدة، بضمنها الولايات المتحدة، دعماً مالياً وفنياً لتأكيد الالتزام بالتدابير المعقدة. سوف تنفق الوكالات الأميركية مبلغ 16,6 مليون دولار خلال سنتين عبر برنامج نظام الإنذار الأميركي للأعاصير، مثل التسونامي، في حوض المحيط الهندي، للمساعدة في تطوير القدرات للإنذار المُبكر للأعاصير، مثل التسونامي، وغيرها من مصادر الخطر في المحيط الهندي وكذلك لدعم قيادة اللجنة الدولية لعلوم البحار في تطوير نظام إنذار دولي مع مشاطرة معطيات الزلازل والمحيطات مع 16 دولة.

يستغرق تطوير مثل هذا البرنامج وقتاً، لأن إنذار الناس حول الأعاصير مثل التسونامي الوشيكة الوقوع والمخاطر الأخرى يتطلب نظاماً متكاملاً، أي أن يكون هناك نظام يتضمن تقييم مصادر الخطر والمخاطر بالنسبة لكل دولة، وإنذارات حول مصادر المخاطر والاستعداد لها، ورصد المحيطات، وإدارة المعطيات، والقيام بالتكهن، ونشر التوقعات المستقبلية، كما الإنذارات، وبناء القدرات لاكتشاف مصادر الأخطار والتنبؤ بها، وإنذارات السكان ووسائل المواصلات العائدة لها، والاستعداد لمواجهة الكوارث. كل عنصر مكوّن لمثل هذا النظام المتعدد القوميات يجب أن يكون قادراً على التواصل المشترك داخل النظام ومع أنظمة أخرى حول العالم.

DITA ALANGKARA ©AP/WWP

عالم مختص بعلم الزلازل يحلل معلومات جمعتها مرسمة زلازل رقمية في أحد المراكز الجيوفيزيائية في بندا آتشيه بإندونيسيا، في تشرين الثاني/نوفمبر، 2005. (آسوشييتد بريس)

في 26 كانون الأول/ ديسمبر 2004، عند حصول التسونامي في المحيط الهندي، لم يكن مثل هذا النظام موجوداً إلاّ في حوض المحيط الهادي حيث تحصل نسبة تزيد عن 85 بالمئة من الأعاصير مثل التسونامي في العالم. يشكل مركز الإنذار حول الأعاصير مثل التسونامي في المحيط الهادي (PTWC) التابع للوكالة الأميركية للأحوال الجوية القائم في هاواي جزءاً من الإدارة القومية الأميركية للمحيطات وعلوم الأجواء (NAOO). قبل ذلك التاريخ، خدم مركز الإنذار بالأعاصير (PTWC) حوض المحيط الهادي كمركز إقليمي طويل المدى للإنذار بالأعاصير مثل التسونامي في حوض المحيط الهادي وكمركز إنذار محلي بأعاصير التسونامي لجزر هاواي.

أما اليوم فيخدم كمركز إنذار مؤقت لحوض المحيط الهندي، بالتعاون مع الوكالة اليابانية للأرصاد الجوية (JMA) التي تصدر نشرات حول أحداث متعلقة بمصادر الأخطار في المحيط الهندي، والبحر الكاريبي إلى أن يتم تشغيل أنظمة خاصة بتلك المناطق.

FADLAN ARMAN SYAM ©AP/WWP

تشكل عوامة الإرشاد هذه جزءاً من نظام إنذار للأعاصير مثل تسونامي، الذي طورته مبادرات «المساهمة الألمانية الإندونيسية لتركيب نظام إنذار لأعاصير تسونامي» (GITEWS). تنقل أجهزة الإحساس المبنية في قاع المحيط وعوامات الإرشاد الطافية على سطح البحر المعطيات حول الزلازل ونشاط الأعاصير مثل تسونامي إلى محطات مراقبة. (فضلان آرمن سيام / آسوشييتد بريس)

بفضل جهد دولي هائل، تتجمع معاً العناصر اللازمة لمثل هذا النظام في حوض المحيط الهندي فاستناداً إلى منظمة اليونيسكو، أسست خلال الإثني عشر شهراً الماضية 25 دولة في حوض المحيط الهندي، مراكز اتصالات تتيح لها الاستعلام عن نصائح حول مصادر الأخطار المستندة إلى معلومات زلزالية ترد من مركز الإنذار بالأعاصير في المحيط الهادئ، بهاواي، ومن الوكالة اليابانية للأرصاد الجوية في طوكيو.

وتقوم الآن الوكالة الأميركية للمسح الجيولوجي (USGS) بإنشاء عدة محطات رصد جديدة للزلازل في مناطق مصادر أخطار إعصار تسونامي الذي حصل في كانون الأول/ديسمبر 2004، أي بالقرب من صدع سوندا القريب من جزيرة سومطرة في إندونيسيا. لتحقيق هذا المجهود تعمل الوكالة مع حكومات إندونيسيا، تايلند، سريلانكا، الهند، وجزر المالديف لتحسين قدرة الرصد، والاكتشاف، والإبلاغ عن الزلازل الأرضية ذات طاقة لتوليد أعاصير مثل التسونامي.

ونظراً لعدم توافر أكثر من وقت إنذار يتراوح بين 15 و20 دقيقة بين وقت حدوث زلزال وبدء الأمواج بضرب سواحل إندونيسيا، تعتبر الأساليب الزلزالية، بالمقارنة مع أجهزة الإحساس للمحيطات، أفضل طريقة لاكتشاف زلزال هناك. تمّ تركيب حوالي 60 مقياس زلازل، بصورة رئيسية في إندونيسيا، ولكن أيضاً في البلدان المحيطة؛ والهدف على المدى الطويل هو تركيب أكثر من 100 مقياس زلازل في المنطقة. في نطاق هذا الجهد، تتعاون الوكالة الأميركية للمسح الجيولوجي مع الوكالة اليابانية للأرصاد الجوية، ووزارة العلوم والتكنولوجيا في ألمانيا وإدارة الزلازل الصينية.

تستطيع المعلومات الزلزالية ان تبلغ هذه المراكز القومية بأن زلزالاً بقوة معينة قد حدث في منطقة مُعيّنة ولكنها لا تستطيع أن تخبرها أن إعصاراً مثل تسونامي قادم على الطريق. يجب تأمين أجهزة اكتشاف الأعاصير في عمق المحيطات لاكتشاف إعصار قادم من بعيد يتقدم عبر المحيط باتجاه مناطق ساحلية بعيدة لا توجد مثل هذه الأجهزة قيد التشغيل في المحيط الهندي، لكن عدة بلدان في المنطقة، بضمنها الهند (بمساعدة ألمانيا)، وأستراليا وماليزيا (وبمساعدة من شركة تجارية، فوغرو، في هولندا)، تعمل لنشر أجهزة اكتشاف الأعاصير مثل تسونامي في أعماق المحيطات.

تستطيع مقاييس التيارات أن تساعد أيضاً في تعيين ما إذا كان التهديد بحصول إعصار مثل تسونامي حقيقياً. في منطقة حوض المحيط الهندي ثم رفع فعالية 32 مقياسا من هذا النوع كي يمكن استخدامها لاكتشاف الأعاصير كجزء من شبكة تُديرها بصورة مشتركة اللجنة الدولية لعلوم المحيطات (IOC) والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO)، تعرف باسم النظام العالمي المراقب لمستوى البحر، للقيام بأبحاث تتعلق بالمناخ علوم المحيطات ومستوى البحر الساحلي.

جرى الإدخال السريع لنظام دولي آخر في الخدمة لاكتشاف الأعاصير مثل تسونامي. النظام العالمي للاتصالات عن بعد هو شبكة عالمية لإرسال معطيات الأرصاد الجوية من محطات الأحوال الجوية، ومن الأقمار الصناعية ومراكز التنبؤ بالأحوال الجوية التي تمّ تعديلها بمساعدة من المنظمة العالمية للأرصاد والجوية والإدارة القومية الأميركية لعلوم الأجواء والمحيطات (NOAA) لجمع معلومات تتعلق بالأعاصير مثل التسونامي.

قال إدي برنارد، مدير مختبر البيئة البحرية للمحيط الهادي التابع للإدارة القومية الأميركية لعلوم الأجواء والمحيطات في سياتل، بولاية واشنطن: «كما تبيّن لنا في 26 كانون الأول/ديسمبر 2004، يمكن للتسونامي أن يكون ظاهرة عالمية، ولذلك فإن المهم عن حق عندما يواجه المرء إعصاراً مثل تسونامي أن يُبلغ بقية العالم بذلك.» ■

شيريل بلليرين، محررة
في وزارة الخارجية الأميركية

قضايا عالمية في حقل التعليم العالي

بقلم ستيفن بي هاينمان

ستيفن بي هاينمان، أستاذ في سياسة التعليم الدولي في جامعة فاندربيلت في ناشفيل، بولاية تنيسي. يساهم بتكرار في كتابة مواضيع لمجلات مهنية، وتشمل خبرته 22 سنة في العمل لدى البنك الدولي إضافةً إلى رحلات عمل إلى عشرات البلدان.

تركت التأثيرات العالمية أثرها في العديد من أوجه الحياة اليومية، وبالتالي في استراتيجيتنا للتغلب عليها. في السبعينات من القرن الماضي، على سبيل المثال، كان من الشائع الاعتماد على التمويل الحكومي لتنشيط النمو الاقتصادي. اما اليوم فتتفوق الاستثمارات الخاصة على المساعدات الأجنبية والإعانات الحكومية.

وكان من الشائع أيضاً اتخاذ قرارات صناعية على أساس الموردين الموجودين بالجوار الذين يتكلمون نفس اللغة التي يتكلم بها الناس المعنيين بالقرار. اما اليوم فتؤخذ القرارات الصناعية على أساس الأفضلية التقارنية الاقتصادية الشاملة للعالم أجمع. فقد يقع مصنع تجميع لأجهزة الكمبيوتر في ناشفيل، بولاية تنيسي؛ أو في أيرلندا الشمالية، أو في ماليزيا؛ وقد يقع مصنع للنسيج في بنغالور، بالهند، أو في سونورا بالمكسيك؛ وقد تقع مزرعة للفاكهة الشتوية في فلوريدا، أو التشيلي، أو المغرب.

الطموحات للتعليم

تترك التأثيرات العالمية أثرها في التعليم العالي أيضاً. اليوم تملك كل دولة تقريباً ثلاثة طموحات متعلقة بالتعليم العالي. الأول هو الطلب بتأمين مستويات أعلى من إتاحة الوصول إلى أعلى التعليم، حيث يزداد في كل جزء من العالم الطلب بسرعة للوصول إلى التعليم العالي. في أواخر الستينات من القرن الماضي لم تكن توجد في أوروبا الغربية دولة تتجاوز فيها مجموعة فئة سن التعليم العالي (18 إلى 22 سنة) نسبة 8 بالمئة من الناس ضمن هذه الفئة. اما اليوم فلا توجد في أوروبا الغربية دولة تقل فيها تلك النسبة في التعليم العالي عن 35 بالمئة. يزداد معدل التسجيل في معاهد التعليم العالي عبر العالم بنسبة تتراوح بين 10 و15 بالمئة سنوياً، ويشمل هذا بلاداً يسود فيها معدل دخل فردي سنوي متوسط أو أدنى المتوسط في آسيا، وأفريقيا، وأميركا اللاتينية.

النتيجة: لم تبق إلا أجزاءً قليلة جداً من العالم حيث يُشكّل مجال التعليم العالي التعليم «للنخبة»، أي حيث يبلغ أقل من 15 بالمئة من مجموعه فئة السن المذكورة. فقد أصبح التعليم العالي «تعليماً جماهيريا» بلغ عدد الطلاب المسجلين في جامعة ناسيونال اوتونوما دو مكسيكو حوالي 269 ألف طالب وبلغ عدد الطلاب المسجلين في جامعة نيودلهي في الهند 309 آلاف طالب. ولدى جامعة الأناضول (تركيا) ما يزيد عن مليون طالب مسجل، وبلغ عدد الطلاب المسجلين في ربما أكبر جامعة خاصة في العالم، جامعة أزاد الإسلامية في إيران، حوالي 850 ألف طالب موزعين على 145 حرماً جامعياً. يجب أن تتغير الصورة التقليدية التي قد نحملها بما

يخص مؤسسات التعليم العالي باعتبارها ملتجآت معزولة عن العالم تُعلّم قلة مختارة من الناس. فالواقع أن التعليم العالي في زمننا الحاضر كثيراً ما يكون لا شخصياً، أي يتمثل في صفوف انتظار طويلة للدخول إلى قاعات محاضرات بالية، ومكتبات فاقدة للكثير من الكتب، وجدران متشققة، وطلاء متساقط، وصنابير تتسرب منها المياه.

اما المطمح الثاني لكل بلد فهو تحسين نوعية التعليم العالي. على امتداد العقد الماضي وقعت ثورة في المعايير التي تساعد في تحديد نوعية أو جودة التعليم العالي. فاليوم تتطلب نوعية التعليم العالي العالية التحديث الإلكتروني في حصص الدراسة، مباني المنامات الطلابية، المكتبات، مختبرات العلوم، وقاعات الدرس. ويكون الطلاب في أحيان كثيرة أكبر سناً، يؤدون عملاً بدوام جزئي، ويعيشون بعيداً عن حرم الجامعة. لم تعد النوعية العالية من المناهج الدراسية تستند إلى الكتاب المدرسي بل على أحدث المعلومات المستمدة من المصادر المطبوعة والإلكترونية. يتم البحث في الإنترنت عن المعلومات المهمة للطلاب وتتوافر لهم على خط الإنترنت مباشرة. وبذلك يتمكن الطلاب من الوصول إلى معلومات حول منهاج الدراسة أينما يعيشون أو يسافرون.

والأكثر من ذلك، هو التغيّر في أسلوب التعليم في غرفة التدريس. لم يعد وقت الحصة الدراسية مُكرساً لتوفير المعلومات للطلاب. بدلاً من ذلك، أصبح مكرساً لتحليل المعلومات التي يتم استيعابها قبل الدخول إلى غرفة التدريس. غيّرت الإنترنت وأشكال أخرى من وسائل المعلومات الإلكترونية طبيعة المكتبة الأكاديمية: وتعززت نوعيتها. قلّت الضرورة لزيارة هيئة التدريس أو الطلاب إلى الموقع المادي للمكتبة. كان من المعتاد تعريف مكتبة جامعة من نوعية عالية استناداً إلى عدد الكتب التي تحتويها. اما اليوم فتعرف المكتبة بالكمية التي تتيحها لإبلاغ المعلومات. والفرق هائل. تملك كل مكتبة جامعية عالية النوعية يتوفر لها ما يكفي من المال للانتساب إلى «شبكات معلومات» حصرية تتشاطر من خلالها الموارد مع غيرها.

شبكات المكتبات الأكاديمية تتخطى الحدود القومية حيث تغطي المكتبات الجامعية كل من أوروبا، وآسيا، وأميركا الشمالية. إمكانية الوصول إلى المعلومات هي ما تميز المكتبات الممتازة عن المتوسطة منها. تتوفر كافة الخدمات الأكاديمية، التعليمية والبيبليوغرافية منها عبر مرافق من الترددات العريضة ضمن قناة اتصالات. يشمل تصنيف مراتب الجامعات في الواقع اليوم عرض نطاق الترددات في قناة الاتصالات التي تستعملها الجامعة (أنظر الجدول المرفق). لا تستطيع الجامعات التي لديها نطاق متدنٍ من الترددات ان تنافس في الجودة جامعات تملك نطاق تردداتٍ واسعة العرض في قناة اتصالاتها.

المطمح الثالث المشترك لدى الجامعات في العالم هو رفع مستوى المساواة أي تقديم منح وزمالات دراسية إلى الطلاب المؤهلين من عائلات فقيرة أو من مناطق محرومة. تملك الكثير من جامعات الدرجة الأولى موارد كافية لتقديم منح دراسية إلى حوالي طالب واحد من بين كل ثلاثة طلاب، إضافة إلى ما قد يكون متوفراً من خلال الموارد الحكومية.

تصنيف فئات الجامعات الآسيوية استناداً إلى عرض نطاق ترددات في قناة الاتصالات

المرتبة	الجامعات التي تُدرّس مواضيع دراسية متعددة	حجم التردد لكل طالب (كيلوبت في الثانية)	المرتبة الإجمالية عام 2000
1	جامعة صن يات سن (تايوان)	33.53	20
2	جامعة صن يات سن (تايوان)	29.76	35
3	الجامعة الوطنية شونغ نام (كوريا الجنوبية)	20.84	50
4	الجامعة الوطنية الأسترالية	19.58	8
5	جامعة تايوان العادية (نورمال)	19.02	37
6	جامعة سيئول الوطنية (كوريا الجنوبية)	17.14	4
7	جامعة تسينغ هوا (تايوان)	14.77	18
8	جامعة كيوتو (اليابان)	14.17	1
9	جامعة تشون نام الوطنية (كوريا الجنوبية)	13.52	34
10	جامعة طوكيو (اليابان)	11.84	2
11	جامعة تيانجين (الصين)	11.54	46
12	جامعة كسيان جياوتونغ (الصين)	10.81	54
13	جامعة سنغافورة الوطنية	7.1	5
14	جامعة وولونغونغ (استراليا)	6.92	45
15	جامعة أديلايد (استراليا)	6.88	26
16	جامعة ناغويا (اليابان)	6.58	11
17	الجامعة المركزية (تايوان)	6.12	24
18	جامعة ملبورن (استراليا)	6.06	9
19	جامعة كاستسارت (تايلند)	5.56	63
20	جامعة شاو تونغ (تايوان)	5.5	28

SOURCE: http://www.asiaweek.com

الموارد المالية

لكن هذه المطامح الثلاثة، إذا أُخذت سوية، تكون مكلفة ولا يوجد إلاّ عدد قليل من الدول يمكنها تمويل كافة هذه المطامح الثلاثة من الموارد الحكومية بمفردها. فمع الزيادة في أعداد الطلاب والتوقعات المتصاعدة للنوعية والمساواة تصبح الموارد الحكومية غير كافية. من المحتمل أن تظل ندرة الموارد لدى الحكومات دائمة وهذا ما قد يولّد معضلة محتملة. كيف يستطيع التعليم العالي أن يُموّل أهدافه الذاتية والذي يشمل أهدافه التقليدية في خدمة الصالح العام؟

تتعلق هذه المعضلة بكل من المؤسسات العامة والخاصة. فمثلاً، في الولايات المتحدة تحصل الجامعات الرسمية على ما بين 15 إلى 20 بالمئة فقط من ميزانياتها للمصاريف العادية من المجالس التشريعية في الولايات. وتكون الجامعة مسؤولة عن جمع الأموال الباقية اللازمة مما يجعل الجامعات من النوعية العالية، الرسمية والخاصة، تتشابه في إدارة أهدافها واستراتيجياتها. بقدر ما أعرفه، تتوفر لكافة الجامعات أربع فئات من الخيارات التي يمكنها اعتمادها لتأمين التمويل اللازم:

- تستطيع جمع الإيرادات من مصادر تقليدية (مثل زيادة رسوم التعليم، فرض إيجارات على المرافق، وتخفيض النفقات غير المباشرة).
- تستطيع التنويع لإيجاد مصادر جديدة للإيرادات (مثل فرض حقوق نشر على الاختراعات، أو الاستثمار في أسواق الأوراق المالية).
- تستطيع تخصيص الموارد الجارية بكفاءة أكثر (مثلاً، التحول من التمويل الإفرادي إلى التمويل الموحد (الجماعي)، والتمييز بين رواتب أعضاء هيئة التدريس، وهكذا دواليك).
- تستطيع ان تلغي برامج أو خدمات فات عليها الزمن (مثلاً، العلوم المنزلية).

كافة هذه الخيارات مثيرة للجدل. فالجامعات العالية النوعية لا تنجح في جمع الموارد فحسب بل أيضاً في ترشيد إعادة توزيع الموارد التي جمعتها للمساعدة في الاحتفاظ بخدمتها للصالح العام. وبالطبع، المؤسسات المختلفة في مدى نجاحها في تمويل أهدافها.

BERND KAMMERER ©AP/WWP

استقبل القنصل العام الأميركي بيتر وبليد بودي (إلى اليسار) ووزير العلوم والفنون في ولاية هيسّ، اودو كورتس (إلى اليمين) في مطار فرانكفورت بألمانيا، طلابا من جامعة ولاية لويزيانا لدى وصولهم في تشرين الأول/ أكتوبر، 2005، للاستفادة من عرض لمواصلة دراستهم بعد ان منعهم الإعصار كاترينا من ذلك. (بيرند كاميرير / آسوشييتد بريس)

البعض منها بطيء لأنها لم تدرك بعد أن على كافة الجامعات اليوم، لكي تصبح ذات نوعية عالية، أن تتولى شؤونها المالية وإدارتها بنفسها.

قد يرى البعض في هذا ميلاً نحو نفخ «الروح التجارية» في التعليم العالي. قد يراه البعض الآخر على انه عولمة طِبقاً «للنموذج الأميركي» من التعليم العالي. اما أنا فأرى في هذا ضرورة لاستخدام الموارد للاستفادة منها للدرجة القصوى. ولا أصفه كأمر تجاري بل أقول أنه اعتماد الروح الاحترافية في التعليم العالي من خلال السعي المشروع لتحقيق الامتياز في التعليم، وليس لكونه أنموذجا أميركيا بل لكونه أنموذجاً ناجحاً يجب أن تنخرط فيه كافة مؤسسات التعليم العالي للتعامل مع ما أصبح اليوم معضلة عالمية تتمثل في ندرة الموارد العامة.

التماسك الاجتماعي

هناك تأثير عالمي آخر على التعليم العالي يستحق الذكر يتمثل في الطريقة التي يساهم (أو يعيق) التعليم العالي المتماسك الاجتماعي لأي دولة. على كل من التعليم العالي الخاص والعام القيام بأدوار في المساعدة على تأمين عيش المواطنين بسلام مع بعضهم البعض ومع جيرانهم، وأن يكون الخريجون منها قادرين على حسن الأداء في سوق العمل طِبقاً للتوقعات.

تحاول كافة الجامعات، أكان غرضها الأولي التدريس، أو الأبحاث، أو الإعداد المهني، ان تؤثر على التماسك الاجتماعي في المجتمع من خلال آليتين: إحدى الآليتين تعمل من خلال منهجياتها واحترافيتها في تدريس التاريخ، الثقافة العامة، البيولوجيا، الفيزياء، الهندسة، والايكولوجيا. يتم تعيين الجامعات ذات النوعية العالية استناداً إلى مدن انفتاحها على الأدب العالمي والأدلة الذي تؤكد تزويدها كافة الطلاب بحرية اختيار أكبر عدد ممكن من المواضيع الدراسية. فلا تقيد أي جامعة عظيمة حرية الوصول إلى المعلومات.

والآلية الثانية تعمل من خلال توفير الجامعة للمثال عن حسن السلوك وتُبرز المعايير المهنية بوضوح. يشمل ذلك الدرجة التي تمنح فيها الجامعة بمكافئة الأداء الأكاديمي بصورة صادقة ومنصفة؛

الدرجة التي تعلن فيها هيئة التدريس والجهاز الإداري قواعد السلوك وتلتزم بها؛ والدرجة التي تُثمّن فيها النقاش المفتوح وتحترم الآراء المعارضة. كلما توسعت الجامعة في إبراز هذه الخصائص كلما ازداد طلابها في إبرازهم كرأسمال بشري من خلال معارفهم ومهاراتهم، وكلما ازدادت مساهمتهم في الرأسمال الاجتماعي، نوع الرأسمال الذي يولد رغبة التضحية من أجل الصالح العام، كما من أجل التسامح تجاه وجهات نظر وآراء الآخرين وفهمها.

تكون الجامعات التي تظهر درجة عالية جداً من الرأسمال الإنساني والاجتماعي من نوعية عالية، وهذه هي الجامعات التي سوف تملك التأثير الأكثر إيجابية لتحقيق التماسك الاجتماعي للبلاد.

إن ما يعنيه ذلك ضمنياً هو أن الجامعات التي يحصل فيها الفساد، حيث يمكن تغيير الدرجات الدراسية، وتبديل قرارات القبول في الجامعة واعتمادية شهاداتها من خلال الرشاوى، سوف تهدد التماسك الاجتماعي للبلاد. فبدلاً من أن تُشكّل المثال لحسن السلوك فإن الجامعة الفاسدة تقدم (تبرز) عكس ذلك، أي سلوك يؤدي إلى خلل وظيفي بالنسبة «لمستقبل البلاد».

تُمثّل مكافحة الفساد في مؤسسات التعليم العالي مشكلة عالمية اليوم، وتجعل الرهانات على نجاحها عالية. تُشكّل عملية بولونيا، التي تعمل من خلالها دول الاتحاد الأوروبي للتوفيق بين أنظمة التعليم العالي المختلفة لديها وذلك لإتاحة إمكانية التحرك أكثر لكل من الطلاب والأساتذة، كما أن الإرشادات الجديدة لمنظمة الأونيسكو بشأن اعتمادية الشهادات، تؤمّن الفرصة لمقارنة أوضاع الجامعات في مختلف أجزاء العالم استناداً إلى نوعية برامجها. إن رغبة الجامعة من النوعية العالية في أن تتم مقارنتها بجامعات أخرى كثيراً ما أصبحت تبدو على أنها تعتمد على ما إذا كانت الجامعة قادرة على إظهار عدم فسادها.

يقع عبء تقديم هذا الإثبات على عاتق الجامعة التي تخضع للتدقيق. فإذا لم تتمكن من إثبات نزاهتها، سوف يجد طلابها أنفسهم في وضع غير ملائم لهم على الدوام في سوق العمل، وقد يتساءل الناس حينئذٍ عن مدى جدارة إنفاق المال العام.

والخلاصة أن هناك «نموذجا» ناجحا بصورة متزايدة لنظام التعليم العالي ينطبق على كافة مناطق العالم. وهو النموذج الذي تتمكن من خلاله مؤسسات التعليم العالي بذاتها أن تمول تحقيق أهدافها. ومن الواضح أكثر فأكثر أن للتعليم العالي دوراً فريداً ليلعبه في عملية التماسك الاجتماعي للدول، ولكنه قد يتمكن من لعب إما الدور السلبي من خلال تمثيله للسلوك غير المهني، أو الإيجابي من طريق التزامه معايير السلوك الدولية. ■

الآراء المعبر عنها في هذا المقال لا تعكس بالضرورة آراء أو سياسات الحكومة الأميركية.

©AP/WWP

تعمل هاتان الطالبتان القطريتان في صف تدريس الطباعة في كلية الفنون التابعة لجامعة كومونويلث فيرجينيا في الدوحة، قطر. (آسوشييتد بريس)

Bibliography

Additional Readings on Globalization

المراجع

Friedman, Thomas L. The World Is Flat: A Brief History of the Twenty-First Century. New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2005.

Gugler, Josef, ed. World Cities Beyond the West: Globalization, Development, and Inequality. Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2004.

"Measuring Globalization: The Global Top 20," Foreign Policy, no. 148 (May/June 2005): pp. 52-60. [Fifth Annual A.T. Kearney/Foreign Policy Globalization Index]

Naím, Moisés. "Globalization: Passing Fad or Permanent Revolution?" Harvard International Review, v. 26, no. 1 (Spring 2004): pp. 84-85.

Perrons, Diane. Globalization and Social Change: People and Places in a Divided World. London; New York: Routledge, 2004.

Veltmeyer, Henry, ed. Globalization and Antiglobalization: Dynamics of Change in the New World Order. Aldershot, Hants, UK; Burlington, VT: Ashgate, 2005.

CULTURE

Appiah, Kwame Anthony. Cosmopolitanism: Ethics in a World of Strangers. New York: W.W. Norton, 2006.

Cowen, Tyler. Good and Plenty: The Creative Successes of American Arts Funding. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.

Cowen, Tyler. "The Fate of Culture," Wilson Quarterly (Autumn 2002): pp. 78-84. http://www.gmu.edu/jbc/Tyler/fate-of-culture.PDF

Hackett, Robert A., and Yuezhi Zhao, eds. Democratizing Global Media: One World, Many Struggles. Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2005.

O'Sullivan, John. "The Role of the Media at a Time of Global Crisis," International Journal on World Peace, v. 21, no. 4 (December 2004): pp. 69-79.

Pells, Richard. "American Culture Goes Global: Or Does It?" Chronicle of Higher Education, v. 48, no. 31 (April 12, 2002): p. B7.

Pells, Richard. From Modernism to the Movies: The Globalization of American Culture in the Twentieth Century. New Haven, CT: Yale University Press, forthcoming.

Rantanen, Terhi. The Media and Globalization. Thousand Oaks, CA: Sage, 2005.

Robertson, Robbie. The Three Waves of Globalization: A History of a Developing Global Consciousness. Nova Scotia, [Canada]; Fernwood; New York: Zed Books, 2003.

Veseth, Michael. Globaloney: Unraveling the Myths of Globalization. Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2005.

ECONOMICS

Barfield, Claude E., Günter Heiduk, and Paul J.J. Welfens, eds. Internet, Economic Growth, and Globalization: Perspectives on the New Economy in Europe, Japan, and the USA. New York: Springer, 2003.

Barker, Drucilla K., and Susan F. Feiner. Liberating Economics: Feminist Perspectives on Families, Work, and Globalization. Ann Arbor, MI: The University of Michigan Press, 2004.

Bhagwati, Jagdish N. In Defense of Globalization. New York: Oxford University Press, 2004.

Buch, Claudia M. Globalization of Financial Markets: Causes of Incomplete Integration and Consequences for Economic Policy. Berlin; New York: Springer, 2004.

Cavanagh, John, and Jerry Mander, eds. Alternatives to Economic Globalization: A Better World Is Possible. 2nd ed. San Francisco, CA: Berrett-Koehler, 2004.

Chandler, Alfred D., and Bruce Mazlish, eds. Leviathans: Multinational Corporations and the New Global History. Cambridge, UK; New York: Cambridge, 2005.

Das, Dilip K. The Economic Dimensions of Globalization. Houndmills, Basingstoke, Hampshire; New York: Palgrave Macmillan, 2004.

Drainville, André C. Contesting Globalization: Space and Place in the World Economy. London; New York: Routledge, 2004.

Hanson, James, et al., eds. Globalization and National Financial Systems. Washington, DC: World Bank, 2003.

International Monetary Fund. U.S. Fiscal Policies and Priorities for Long-Run Sustainability. Washington, DC: IMF, 2004.

Isaak, Robert A. The Globalization Gap: How the Rich Get Richer and the Poor Get Left Further Behind. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall/Financial Times, 2005.

Laudicina, Paul A. World Out of Balance: Navigating Global Risks to Seize Competitive Advantage. New York: McGraw-Hill, 2004.

Legrain, Philippe. Open World: The Truth About Globalization. Chicago: Ivan R. Dee, 2004.

Lele, Uma J., and Chris Gerrard. Addressing the Challenges of Globalization: An Independent Evaluation of the World Bank's Approach to Global Programs. Washington, DC: World Bank, 2004.

Mander, Jerry, and Victoria Tauli-Corpuz, eds. Paradigm Wars: Indigenous Peoples' Resistance to Economic Globalization: A Special Report of the International Forum on Globalization, Committee on Indigenous Peoples. San Francisco, CA: International Forum on Globalization, 2005.

Michie, Jonathan, ed. The Handbook of Globalisation. Cheltenham, UK: Northampton, MA: Edward Elgar, 2003.

Naím, Moisés. Illicit: How Smugglers, Traffickers, and Copycats Are Hijacking the Global Economy. New York: Doubleday, 2005.

Ocampo, José Antonio, and Juan Martin, eds. Globalization and Development: A Latin American and Caribbean Perspective. Palo Alto, CA: Stanford Social Sciences, Stanford University Press; Washington, DC: World Bank, 2003.

Pink, Daniel. Free Agent Nation: The Future of Working for Yourself. New York: Warner Business Books, 2002.

Rivoli, Piera. The Travels of a T-Shirt in the Global Economy: An Economist Examines the Markets, Power, and Politics of World Trade. Hoboken, NJ: John Wiley & Sons, Inc., 2005.

Runge, C. Ford, et al. Ending Hunger in Our Lifetime: Food Security and Globalization. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, for the International Food Policy Research Institute, 2003.

Rupert, Mark, and M. Scott Solomon. Globalization and International Political Economy: The Politics of Alternative Futures. Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2006.

Smith, Neil. The Endgame of Globalization. New York: Routledge, 2005.

Stark, Jurgen. "The State of Globalization," The International Economy, v. 19, no. 2 (Spring 2005): pp. 52-55.

Stiglitz, Joseph. Globalization and Its Discontents. New York: Norton, 2002.

Weinstein, Michael M., ed. Globalization: What's New? New York: Columbia University Press, 2005.

Wolf, Martin. Why Globalization Works. New Haven, CT: Yale University Press, 2004.

EDUCATION

Heyneman, S.P. "Defining the Influence of Education on Social Cohesion," International Journal of Educational Policy, Research and Practice (Winter 2002/3): pp. 73-97.

Heyneman, S.P. "Education and Corruption," International Journal of Education Development, v. 24 (2004): pp. 637-648.

Moiseyenko, Olena. "Education and Social Cohesion: Higher Education," Peabody Journal of Education, v. 80, no. 4 (2005): pp. 89-103.

"A New World View: Education in a Global Era," Phi Delta Kappan, v. 87, no. 3 (November 2005): pp. 184-245.

Rumyantseva, Nataliya L. "The Taxonomy of Corruption in Higher Education," Peabody Journal of Education, v. 80, no. 1 (2005): pp. 81-92.

HUMAN RIGHTS

Brysk, Alison, and Gershon Shafir, eds. People Out of Place: Globalization, Human Rights, and the Citizenship Gap. New York: Routledge, 2004.

Moghadam, Valentine M. Globalizing Women. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2005.

SECURITY

Barkawi, Tarak. Globalization and War. Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2006.

Carmody, Padraig. "Transforming Globalization and Security: Africa and America Post-9/11," Africa Today, v. 52, no. 1 (Fall 2005): pp. 97-120.

Copley, Gregory R. "Preparing for the Post-Terrorism Era," Defense and Foreign Affairs Strategic Policy, v. 33, no. 9 (September 2005): pp. 2-4.

Echevarria, Antulio J. and Bert B. Tussing. From "Defending Forward" to a "Global Defense-in-Depth": Globalization and Homeland Security. Carlisle, PA: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 2003.

Florida, Richard. "The World Is Spiky," The Atlantic Monthly, v. 296, no. 3 (October 2005): pp. 48-51.

Haas, Richard N. "The Politics of Power: New Forces and New Challenges," Harvard International Review, v. 27, no. 2 (Summer 2005): pp. 60-65.

Miskel, James F. "Grand Strategies for Dealing With Other States in the New, New World Order," Naval War College Review, v. 58, no. 1 (Winter 2005): pp. 63-75. http://www.nwc.navy.mil/press/Review/2005/Winter/art3-w05.htm

Morgan, Matthew J. "The Origins of the New Terrorism," Parameters, v. 34, no. 1 (Spring 2004): pp. 29-43. http://carlisle-www.army.mil/usawc/Parameters/04spring/morgan.htm

Nassar, Jamal R. Globalization and Terrorism: The Migration of Dreams and Nightmares. Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2005. http://www.rowmanlittlefield.com/Catalog/SingleBook.shtml?command=Search&db=^DB/CATALOG.db&eqSKUdata=0742525031

Nye, Joseph. Soft Power: The Means to Success in World Politics. New York: Public Affairs, 2004.

Rapley, John. Globalization and Inequality: Neoliberalism's Downward Spiral. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2004.

Rosenau, James N. Distant Proximities: Dynamics Beyond Globalization. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003.

Sicherman, Harvey. "Cheap Hawks, Cheap Doves, and the Pursuit of Strategy," Orbis, v. 49, no. 4 (Fall 2005): pp. 613-629. http://www.fpri.org/orbis/4904/sicherman.cheaphawksdoves.pdf

U.S. National Intelligence Council. Mapping the Global Future: Report of the National Intelligence Council's 2020 Project, Based on Consultations With Nongovernmental Experts Around the World. Washington, DC: National Intelligence Council, 2004. http://www.foia.cia.gov/2020/2020.pdf

Van Rooy, Alison. The Global Legitimacy Game: Civil Society, Globalization, and Protest. Houndmills, Basingstoke, Hampshire; New York: Palgrave Macmillan, 2004.

The U.S. Department of State assumes no responsibility for the content and availability of the resources from other agencies and organizations listed above. All Internet links were active as of February 2006.

Internet Resources

Selected Web Sites on Globalization

مصادر الإنترنت

UNITED STATES GOVERNMENT

U.S. Agency for International Development
http://www.usaid.gov

U.S. Department of Health and Human Services
Centers for Disease Control and Prevention
http://www.cdc.gov

U.S. Department of State
http://www.state.gov

U.S. Treasury Department
Office of Foreign Assets Control
http://www.ustreas.gov/offices/enforcement/ofac/index.shtml

International

International Labor Organization
http://www.ilo.org

International Monetary Fund
http://www.imf.org/external/np/exr/ib/2000/041200.htm#ll

Japan Center for International Exchange
http://www.jcie.or.jp

Organization for Economic Cooperation and Development
Principles of Corporate Governance
http://www.oecd.org/dataoecd/32/18/31557724.pdf

Statistics Canada
http://www.statcan.ca/english/freepub/11-623-XIE/2003001/multi.htm

World Bank Group
http://www.worldbank.org/html/extdr/pb/globalization

World Health Organization
http://www.who.org

World Trade Organization
http://www.wto.org

Universities, Colleges, and Research Organizations

Bill and Melinda Gates Foundation
http://www.gatesfoundation.org

Carnegie Endowment for International Peace
Global Policy Program
http://www.carnegieendowment.org/programs/global/

Center for Strategic and International Studies
Globalization101.org
http://www.globalization101.org/about/

George Washington University
Center for the Study of Globalization
http://gstudynet.com/gwcsg/

The Globalization Website (Emory University)
http://www.sociology.emory.edu/globalization/about.html

International Forum on Globalization
http://www.ifg.org

World Economic Forum
http://www.weforum.org

Other

A. T. Kearney: Globalization Index 2005
http://www.atkearney.com/main.taf?p=5,4,1,116

Global Scenario Group
http://www.gsg.org

International Women's Tribune Centre
http://www.irc.nl/page/7049

A World Connected
http://www.aworldconnected.org/

The U.S. Department of State assumes no responsibility for the content and availability of the resources from other agencies and organizations listed above. All Internet links were active as of February 2006.

eJOURNAL USA

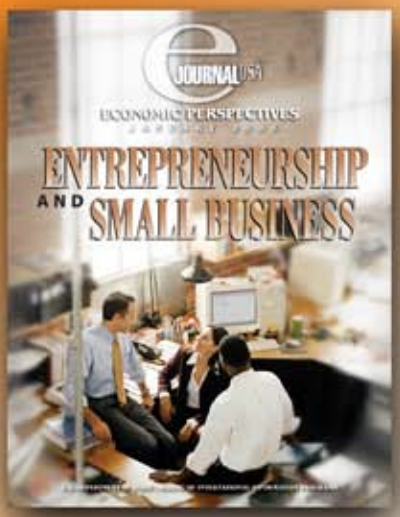

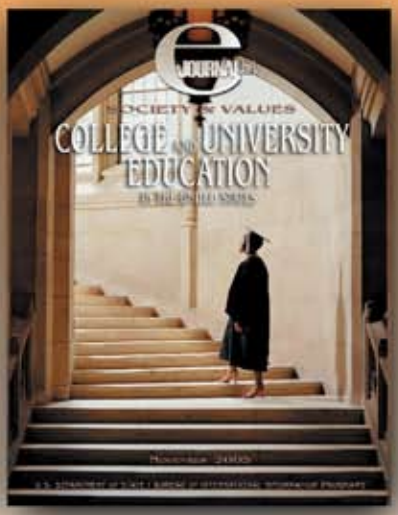

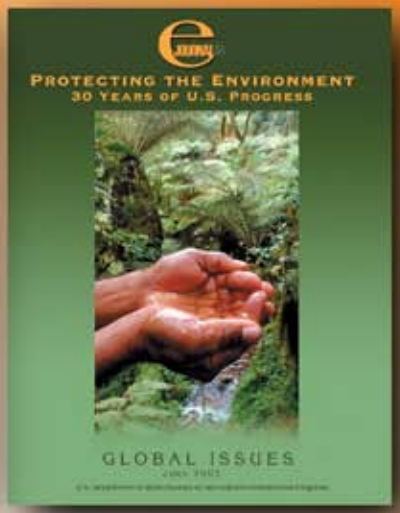

A MONTHLY JOURNAL OFFERED IN MULTIPLE LANGUAGES

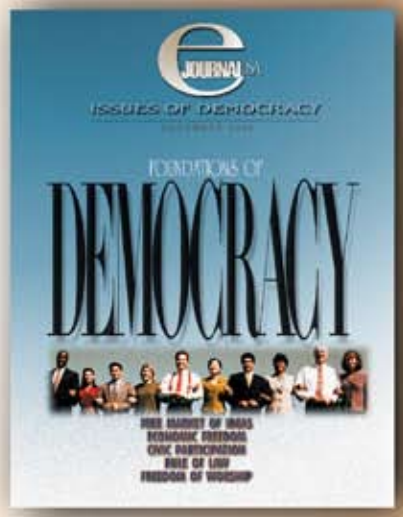

REVIEW THE FULL LISTING OF TITLES AT
http://usinfo.state.gov/pub/ejournalusa.html